قــصــص الـقــرآن الـكــريـم

أُولُـو الـعزْمِ مِنَ الـرُّسُـلِ

الجزءالأول

نوح - إبراهيم - موسي - عيسي

د. طـه وادى

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ٣٩٨١ / ٩٦

الترقيم الدولي:

I. S. B. N.: 977 - 5526 - 38 - 8

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

دار النشر للجامعات - مصر

١٦ ش عدلى - الدور الثالث - القاهرة

ص . ب ١٣٠ محمد فريد - ت: ٣٩٣١٤٣٤ - فاكس: ٣٩١٢٢٠٩

أُوْلوُ العزْم مِنَ الرُّسُلِ

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾

[يوسف : ٣]

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ .. ﴾

[الأحقاف: ٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ [يوسف : ٣]

الحمدُ لله الذى شرحَ صدرنا لتقديم هذا العمل الدينى الجليل.. وهو قصصُ أولى العَزْمِ من الرُّسُل، الذين أشار إليهم ربُّ العزة - سبحانه - فى سياقِ خطاب أشرف خلقه وأفضل رُسله محمد (ﷺ)، حتى يُثبِّتَ فؤادَه ويقوِّى إيمانَه، فيصْبِرَ - ومن آمن معه - على إيذاء كفّار قريش، كما صبرَ أولو العزم من الرسل على إيذاء شعوبهم وعداوة أقوامهم، لكن جميع أولئك الرسل المكرمين ما ضعفوا ولا استكانوا، وظلوا - بفضلِ الله - صابرين .. صامدين .. مؤمنين بتأييد ربِّ العالمين، حتى بلغوا شريعةَ الله إلى الناس أجمعين. كذلك يطلبُ المولى - جلّ وعلا - من رسوله (ﷺ) ألا يستعجلَ عذابَ الكفّار، لأنهم سوف يروْنَ ما يُوعدونَ يومَ لاينفع مالٌ ولا بنُون إلا من أتى اللهَ بلقبٍ سليم:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

أولو العزم من الرسُل الكرام خمسةٌ: نوح - إبراهيم - موسى - عيسى .. محمد، عليهم خيرُ الصلاة وأزكى السلام من الله وملائكته وسائرِ خلقه. وقد صدرَ الجزءُ الأول من هذه القصص المباركة (١٤١٦ - ١٩٩٦) .. وكُتبَ الثانى فى مكة المكرمة (١٤١٧ - ١٩٩٧). وقد آثرتُ أنْ أقدِّمَ الجزءيْن فى مجلدٍ واحد، لأنهما يمثلان سلسلةً نورانية متكاملةَ الحلقات. وهذا الجهد المتواضع، صادرٌ من قلب خاشع، يرجو رحمةَ ربِّه ومغفرته، ويأمل قربَه ومحبته. يقول سبحانه فى حديث قدسىّ:

«ما تقرَّبَ عبدى بشىءٍ أحبَّ إلىَّ مما افترضتُه عليه. وما يزالُ عبدى يتقَّربُ إلىَّ حتى أحبَّه..»

اللهم.. إنا نرجُو رضاك ورحمتك وقُربَك ومحبتَك. اللهم تقبَّلْ عملنا هذا خالصاً من أجل نور وجهك الكريم وبركةِ رُسلك المقرَّبين.

اللهم: نوِّرْ بصيرتى .. واغفرْ خطيئتى .. وثبتْ حُجتى.. وأجبْ دعوتى.. وارفعْ درجتى.. أنا ومن صَلُح من ذُريَّتى.

وآخر دعْوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين.

القاهرة فى يوم الأحد:

٨ ربيع أول ١٤١٨

١٣ يوليو ١٩٩٧

المستعينُ بالله أبو محمد

طـــه بن عمـــران وادى

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد وتحديد

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان: ١]

أحمدُه حمدَ عبدٍ خاشع لخالقه ومولاه، وأصلّي وأسّلمُ على سيدنا محمد بن عبد الله، وكل من تبعه بإحسان ووالاه.

أما بعد .. فهذه محاولة متواضعة - أقوم بها ابتغاءَ مرضاة الله عزّ وجل - لتقديم شرحٍ مُيسرٍ معاصر لقصص الرسل والأنبياء والصالحين .. على هدْى من آيات الذكر الحكيم. وهذا الموضوع ليس بجديد عليّ، ولا ببعيد عن دائرة اهتماماتى، فقد كانت تلاوة القرآن الكريم، والوقوف عنْد قصص الأنبْياء .. أول درس فتّح مشاعرى، وفتّق افكارى، وشرح صدرى للعلم والتعليم. حدث ذلك فى مجالس أبى .. الشيخ عمران بن أحمد بن عبد الرحمن وادى - المصرى مْولداً .. العربى محْتداً . وقد درس رحمه الله فترة فى الأزهر الشريف، لكنه لم يُكمل تعليمه لأسباب عائلية - ذكرتُها فى كتابى «الليالى» (جـ١) - وظل ذلك الرجل يحمل لقب «شيخ» إلى أن توفى. وكان يختمُ «القرآن الكريم» مرة - على الأقل - كل أسْبوُع، ويجتمع عنده فى «مندرة الدار» - خاصة فى ليالى شهر رمضان المباركة - بعض المريدين، فيشرح لهم بعض الدروس الدينية والقصص القرآنية. كذلك ألحتْ عليّ فكرةُ الكتابة عن قصص القرآن الكريم كلما قرأتُه، وتلوتُ آياته الكريمة، وتدبرتُ معانيه ودلالاته المعجزة. وقد أشرتُ إلى هذا سريعًا فى بْعض كتاباتى، وآخرها كتاب «**فى البدء تكونُ الأحلام**» -الذى صدرتْ طبْعتُه الأولى سنة ١٩٩٥.

أخيراً .. وفقنى الله - سبحانه وتعالى - بفضل من عنده، وأمدّنى بهدْىٍ من نفحاته، لكى أتصدّى لهذا العمل الجليل، وهو تقديم شرح / ميّسر / مختصر / معاصر / لقصص «الأنبياء والصالحين» .. مستعينًا فى ذلك بوحْىٍ من مُحكم آيات الذكر الحكيم - الذى شرّفنا الله به، وقال - فى حقه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ㉙﴾ [ص: ٢٩].

إن القرآن الكريم دستور المسلمين للفوْز بخير الدنيا والآخرة، لذلك قيل: «خُذْ من القرآن ما شِئتَ لما شِئْتَ». وعلى هذا فقد اعتمدته مصدراً (أولَ) لشرح أبعاد القصص القرآنى،

وتوضيح عناصر السرد، التى وردت فى أكثر من موضع من سور الذكر الحكيم. وقد استعنت على فهم كثير من المعانى والمغازى ببعض كتب التفسير .. وكتب قصص القرآن القديمة والحديثة على حَدٍّ سواء. بالإضافة إلى بعض الدراسات الخاصة بإعجاز القرآن وأسرار بلاغته، وبعض الكتب الخاصة بالرسُلِ، الذين ورد ذكرهم فى هذا البحث.

أما المنهج الذى هدانى الله سبحانه إليه .. فهو منهجٌ دينى / أدبى فى آن واحد. فقد اعتمدت سبيل القرآن الكريم نفسه نهجًا قويمًا، أدرس من خلاله كل ما يتصل من قريب أو بعيد بقصص أولى العزم من الرسل، الذين اشتملت عليهم هذه الدراسة وهم: **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.** فكل حقيقة وردت فى إطار القصص مستمدةٌ فى المقام الأول من الذكرالحكيم وبهدىٍ منه. كذلك لم أستطع أن أتخلص من بعض آلياتِ البحث الأدبى، والدرس القصصى، التى شُغلت بها كثيرًا: إبداعًا ونقدًا.

* * *

(٢)

ما أشدَّ حاجتنا - نحن البشر أجمعين - فى هذا العصر المادى، وفى تلك المرحلة التى سادت فيها بعض المفاهيم الخاطئة - التى جعلت بعض الجماعات تمارس الإرهاب الفكرى والقتل الجسدى أحيانًا باسم الدين - إلى أن نعود إلى المصادر النقية الأولى فى التشريع، وهى: القرآن الكريم والسنة النبوية، فالرسول - ﷺ - يقول فى حديثٍ شريف **«تركتُ فيكم ما إنْ تمسكتُم به لن تضلوا بعدى .. كتابَ الله وسُنّتى»**.

كما أن تدبر قصصِ الأنبياء يطلعنا على الوجه المشرق للرسالات السماوية المختلفة، ويوضح العلاقة الطيبة التى ينبغى أن تسود بين البشر أجمعين، إذ إن جميع الناس أمامَ رب الناس مثل أسنان المشط، لا فضلَ لعربى على عجمى إلا بالتقوى، لذلك ينبغى أن نرفع شعار: **«الدين لله والوطن للجميع»** .. مدركين أنه لو شاء ربك لهدى الناس أجمعين. تلك كانت إحدى الوظائف النهيلة التى من أجلها قَص الله - سبحانه وتعالى - على نبيه الكريم أخبار الرسل السابقين **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾** [هود: ١١٨ - ١٢٠]. وقد استلهم أحمد شوقى معنى الآية

الكريمة الأولى في قوله:

الـديـنُ لـلـديَّـانِ جـلَّ جــــلالـهُ   لو شـــاءَ ربُّك وحَّـدَ الأقـــوامـا

فالله – جل شأنه – يقص على رسوله أخبار الأنبياء السابقين، وما حدث لهم مع شعوبهم، حتى يقوى إيمانه، ويطمئن نفسه، ويثبت قلبه، حين يعلم أن كافة الرسل والأنبياء، قد تعرضوا لما تعرض له من الأذى والعذاب والرفض والتجاهل. وهذه القصص التي تروى الحق، وتحكى الصدق، فيها عبر وعظات، وذكرى لمن آمن بما جاءت به الرسل. وهذا مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (١١١) ﴾ [**يوسف**: ١١١].

وعلى هذا فقد «امتاز قصص القرآن الكريم بسمو غاياته، وشرف مقاصده، وعلو مراميه. واشتمل على فصول في الأخلاق، مما يهذّب النفوس، ويجمل الطباع، وينشر الحكمة والآداب وطرقا في التربية والتهذيب شتى، تساق أحيانًا مساق الحوار، وطوراً مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإنذار. كما حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم، والشعوب وحكامهم. وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض، وأقوام ضلوا فساءت حالهم، وخُرِّبتْ ديارهم، ووقع عليهم العذاب والنكال، يُضرب بسيرهم المثل، ويدعو إلى العظة والاعتبار.

كل هذا قصه الله في قول بين، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع، وافتنان عجيب، ليدل الناس على الخلق الكريم، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان، وأقوم سبيل، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طُرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد»(١).

* * *

(٣)

والحكمة – لا يعلمها إلا الله – لم يشأ – سبحانه – أن يقص على رسوله أخبار كل الرُّسُلِ والأنبياء السابقين. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ**

(١) محمد جاد المولى وآخرين: قصص الأنبياء، ط المكتبة التجارية، القاهرة (د.ت). ص جـ.

وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) ﴾ [غافر: ٧٨].

معنى هذا أن قصص الأنبياء لم ترد كلها فى القرآن لحكمة بالغة، يعلمها الله وحده. فما أتاكم الله فخذوه.. وما سكت عنه فدعوه، لأنه هو العليم الخبير.

كذلك شاء الله - سبحانه - أن يذكر معظمَ قصص الأنبياء فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، حيث لا يردُ فى سياق سورة من السور إلا ما يراه اللطيف الخبير مناسبًا لسياق الحال وملائمًا لطبيعة الموقف الذى ترد فيه. ومن المعلوم أن أبسط تعريف للبلاغة هو: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال». ومن المعروف أيضًا أن: «لكل مقام مقال». وكان عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١هـ) يرى أن سر الإعجاز القرآنى، يعود إلى ما أسماه «نظرية النظم»، وهى نظرية تتفق مع بعض الاتجاهات الحديثة والمعاصرة فى علم اللغة.. وعلم الأسلوب، فهو يرى - بحق - أن القرآن (معجزٌ) بالطريقة، التى أنزل بها، وبالنسق الذى ورد فيه.. «وجملة الأمر أنّا لا نُوجبُ الفصاحةَ للفظةِ مقطوعةً مرفوعةً من الكلام الذى هى فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها...»[1].

لا نود أن نطيل فى البحث عن أسرار بلاغة القرآن الكريم، وإنما نود القول بأن القرآنَ (معجزٌ) بكل ما فيه: على مستوى الآية والسورة.. والترتيب الكلى للآيات والسور، وبناء على هذا فسوف ندرس قصص الأنبياء فى السور المختلفة التى وردت فيها، حتى نُكملَ عناصر القصة، ونبرز إطار العبرة، ومغزى الحكمة الإلهية السامية.

إن الله سبحانه - رغم إعجاز النص القرآنى - جعله فى مستوى فهم البشر، حتى يتعظوا بما فيه من آيات بالغة، وعبرٍ نافذة. وقد وردت آية، كررت أربع مرات فى سورة «القمر» تأكيدًا لفكرة أن الله قد يسر القرآن لمن أراد معرفة الحق، فهل من باحث عن العظة والنجاة؟! والآية المقصودة هى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) ﴾ [القمر: ٢٢].

ومع أن الذى لا ريب فيه أن القرآنَ الكريم كتاب هداية - فى المقام الأول - وأنه يهدى

---

(١) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر - ط الخانجى - القاهرة -١٩٨٤- ص ٤٠٢.

العصاة ويزلزل الجبال الصُّمَّ، حيث يقول ربنا – سبحانه وتعالى – فى سورة الحشر: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الحشر: ٢١].

المعنى المقصود هو أن القرآن لو أُنزل على جبلٍ، لرأيت الجبلَ الأصم متذللاخاضعًا ومتصدعًا متشققًا؛ أى أن ما فى القرآن من وعد ووعيد، وزواجر وعبر، وقصص وآيات، تخضع الجبل والصخر .. فكيف تكون حال الإنسان صاحبَ السمع والبصر والقلب والعقل...؟! ولهذا فإننى لم أكتب هذا الشرح المختصر – من أجل غاية دينية فحسب .. أو من أجل أن يقرأه المسلمون فقط.

إن الغاية من كتابة هذا المؤلف (غاية إنسانية) نبيلة، تهدف إلى أن تقدم دعوة عامة للبشرية جمعاء .. من أجل الوحدة والإخاء، والتسامح والصفاء.

إن القيمَ الروحيةَ – وحدها – هى القادرةُ على أن تؤسسَ دعائمَ ثابتة للسلام بين جميع البشر فى كل زمان ومكان. كما أن المادة التى تعتمد على الثروة أو السلاح أو كثرة العدد أو ازدهار الحياة .. كل ذلك لا يكونُ نواةً لحضارة أبدية وسلام دائم بين البشر. ولن تعرفَ الإنسانية طريقَها إلى الكمال إلا بالعودة إلى قيم الروح، وطهارة النفس، وطمأنينة القلب، ونزع مخالب العقلِ واليد واللسانِ.

إن هذا الكتابَ يحملُ دعوةً للسلام فى عصر الحروبِ، ورسالة للحب فى زمن الكراهية والغدر، ورؤية لوحدة الوجود من خلال التعدد فى الفكر أوْ المعتقد. أيها البشر فى كل مكان وزمان: تسامحوا .. تحابوا .. اتّحدوا .. كونوا عباد الله، شركاء فى كل ما خلق الله .. فما استحق أن يُولد من عاش لنفسه فقط..!!

ونأمل – بمشيئة من الله وفضل – أن يصدر هذا الكتاب الخاص بقصص الرسل والأنبياء والصالحين – كما وردت فى القرآن الكريم – فى ثلاثة أجزاء:

الأول: أولو العزم من الرسل: يتناول سيرة كل من **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى** – عليهم السلام.

الثانى: الرسول الرسالة: مع أن النبى الكريم – ﷺ – واحد من الرسل أولى العزم – فقد آثرنا أن نقدم سيرته العطرة فى جزء خاص بها وحدها.

الثالث : قصص الأنبياء والصالحين: الذين وردَ ذِكرهم فى القرآن الكريم، حتى تكتملَ الصورة العامة للقصص القرآنى . واللهُ الموفّقُ . .

اللهمَّ غيرَ وجهك ما ابتغيتُ
وسوى النفعِ لخلقك ما نويتُ
وعليكَ رجائى ألقيتُ
وإليك بُذلّى وضعفى انتهيتُ

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

اللهم عَلمنا ما ينفعُنا . . وانفعْنا بما علمتنا . . أنت مولانا . . ونعمَ النصير . . !!

شعبان ١٤١٦
يناير ١٩٩٦

المستعين بالله أبو محمد
د. طه عمران وادى
أستاذ الأدب العربى
كلية الآداب – جامعة القاهرة

الفصـــل الأول

نوح .. الرسولُ الأول
والأَبُّ الثانى

أولو العزم من الرسل

احتشدتْ سُور القرآن الكريم بكثير من القصص الدينى للرسل والأنبياء والصالحين، لتكون فى قصصهم عبرةٌ للمتقين وهدىً للمؤمنين.. ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)** ﴾ [البقرة: ٣، ٤].(١)

والإسلامُ الحق يقتضى أن نؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، لأن الإيمانَ (كلٌّ متكامل)، ولا يصح أن نؤمن بقدرٍ من عناصر الإيمان، ونُهمل قدراً آخر، حتى لا نكونَ مثل الذى يُؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. ويحدد ربُّ العزة فى محكم آياته معنى الإيمان الحق والخير الكامل فى قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)** ﴾ [البقرة: ١٧٧].(٢)

فى هذه الآياتِ الكريمة توضيحٌ وتفصيل لمعنى البر.. أو الإيمان الحق.. أو العمل الصالح، ويعنينا منه الآن – فى هذا السياق الخاص بقصصِ الأنبياء – أن من علاماتِ البر الإيمانُ بالرسل والأنبياء، وألا نفرقَ بين أحد منهم.

فالإيمان بكل الأنبياء أحدُ عناصر الإسلام، ومقتضى الحال لا يقودنا إلى التعرف على تلك الشخصيات العظيمة بمجرد الاسم، وإنما يجب أنْ نعرفَ حقيقةَ دورهم ومعالم سيرتهم، لأن لنا فيهم أسوةً حسنة. إن الوعى بإطار السير العطرة لهؤلاء الأنبياء الصالحين، يقوِّى مشاعر الإيمان، ويوقظ الضمائرَ، ويجعل الإنسانَ يدركُ بعضَ أسرار عظمة مولاه وخالقه، حين يعرفُ أن الله لا يظلم أحداً.. وأنه – سبحانه – يُحاسب

---

(١) الغيب: الأمور الخفية التى لاتدركها الحواس.

(٢) البرّ: اسم جامع لكل أعمال الخير التى يرضى عنها الله سبحانه.

البشر على مثقال الذرة .. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

إن قدرًا كبيرًا من أزمة البشر ومأساتهم، تعود إلى فقدان الضمير. وهذا ما يغرسُ الأثرةَ فى النفوس، ويجعل المرءَ يحل لنفسه ما لا يُحلُّ لغيره. بل إن كثيرًا من البشر يُحلون لأنفسهم بعض ما يحرمونه على غيرهم. فالدول الاستعمارية - مثلاً - ترى أن من حقها أن تَنهبَ ثروات الدول الضعيفة... كما أن بعضَ أصحاب السلطة وأعوان السلطان، يرون أن من واجبهم أن يأخذوا - أحيانًا - أىَّ شئ، وربما كلَّ شئ، لأنهم يملكون القوة الغاشمة. إن بعضَ الناس طغاة، لأنهم بَعيدون عن حظيرة الإيمان ودوحة المحبة. لقد نسوا الله فأنساهم أنفسَهم .. فازدادوا طغيانًا وكفرا وإذلالاً لخلق الله، غيرَ مدركين أن الله إذا غضبَ على امرئ رزقه من حرام، وإذا ازداد غضبُه عليه بارك له فيه.

إن معرفةَ قصص الأنبياء ذاتُ (وظيفة أخلاقية) كبرى فى حياة البشر. والتربية الروحية - وحدها - هى القادرة على نشل العالم من مُستنقع الظلم والطغيانِ والاستبداد والعدوان.

القرآن الكريم يرشدنا إلى هذه الوظيفة التربوية، حين يوضح فى سورة «الأعراف» أن الطريق لهداية من يكفرون بآيات الله - ويتبعون أهواءهم، ويكونون مثل الكلب، إن تحملْ عليه يلهث، أو تتركه يلهث، اى يخرج لسانه تعبًا - يتمثل فى تلاوة القصص عليهم، حتى يعتبروا ويرجعوا عن جهلهم وضلالهم، والآية الكريمة تستخدم فعل (الأمر).. وهذا أمر حقيقى، مطلوبُ الأداء، واجبُ التنفيذ على سبيل الاستعلاء والتعالى، لأن الأمرَ - هنا .. كما يذكر البلاغيون -صادر من الربّ الأعلى إلى البشر الضعفاء، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ [الأعراف: ١٧٦].(١)

نظرًا لأهمية هذه الغاية الأخلاقية، وتلك الوظيفة التربوية السامية - التى تنجم من معرفة قصص الأنبياء والصالحين - وجدنا القرآن الكريم يدلنا على هذا التأثير القوىّ

---

(١) لرفعناه: رفعنا منزلته وقدره - أخلد إلى الأرض: كناية عن الميل إلى البقاء فى الحضيض، لأنه اتبع هواه.

لفنون القص، حيث يهدى به الله من شرحَ قلبه إلى الإيمان، ويرد به من ضل عن سواء السبيل.

قصصُ الفرقان - إذنْ- ذات وظيفة تربوية جليلة .. وكانت - ولا تزال - محْتفظة بها؛ من أجل ذلك - وغيره - كثرت القصصُ والأمثال فى القرآن الكريم.

* * *

يمكن أن نقسم القصص القرآنى إلى نوعين كبيرين من القصص:

الأول: قصص الأنبياء والصالحين

هناك مجموعةٌ كبيرة من الأنبياء والصالحين، الذين وردَ ذكرهم فى القرآن الكريم من عصور مختلفة وأماكنَ متنوعة، وقد وردتْ قصصُهم - مطولة أو مختصرة - حتى يُكثر المولى عز وجل لعباده من ضرب الأمثال، التى تهدى العصاةَ، وتثبتُ إيمانَ المسلمين. وكان الله - سبحانه - يريد أن يقول لعباده .. إن كل ما تفعلونه من خيرٍ أو شر، قد حدثَ لأممٍ سابقة، أرسل الله لهم من يهديهم إلى الطريق المستقيم، لأن الله لا يعذب عباده إلا بعد أن يُرسل رسولاً . فمن شاء - بعدئذ - فليؤمن ومن شاء فليكفر. وهنا تتجلى للمولى سبحانه وتعالى صفة (العدل)، لانه لا يُعاقب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم من يعرفهم طريق الحق والخير، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)** ﴾ [**الإسراء: ١٥**].(١)

وفى سياق القصص الذى ضربه الله - فى القرآن الكريم - للعظة والعبرة والتفكير، تاتى أسماءُ كثير من الأنبياء والصالحين - الذين ورد ذكر بعضهم - أيضًا - فى بعضِ أسفار الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد - مثل:

آدم - إدريس - هود - صالح - لوط - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - شعيب - داود - هارون - سليمان - زكريا- يحيى - لقمان - أيوب - الخضر - إلياس - إليسع - يسَ - ذو الكفل - يونُس - السيدة مريم - طالوت - امراة فرعْون - أصحاب الكهف.. وغيرهم.

---

(١) تزر: تتحمل - وازرة: مُذنبة (اسم فاعل من الفعل وزر).

وهناك قدر من الاختلاف في التفاصيل بين هذه القصص في القرآن الكريم، وفي الكتاب المقدس.. ليس هنا مجالٌ لذكره، لأن دراستنا سوف تهتم بالصورة القصصية - كما وردتْ في القرآن الكريم فحسب.

* * *

الآخر: الرسل أولو العزم

هناك مجموعة أخرى من الرسل، ورد ذكرهم في القرآن في أماكن متعددة، ورويت قصصهم - في أكثر من سورة - بقدْرٍ من التوسع والتفصيل، لأنهم كانوا ذوي مكانة دينية سامية، وقدموا كثيراً من التضحيات، وتحملوا كثيراً من ألوان العذاب والاضطهاد،حتى بلّغوا رسالات ربهم، لذلك يصفهم المولى - عزّوجل - بأنهم «أولو العزم من الرسل» في سورة «الأحقاف»، حيث يقول مخاطبًا رسوله محمد ﷺ: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

هؤلاء الرسل العظام خمسة.. هم:

نوح - إبراهيم - موسى- عيسى - محمد.. عليهم السلام.

هؤلاء الرسل أولوُ العزم - أصحابُ الرسالات الكبرى والبطولات العُظْمَى - هم الذين سوف نتوقف عندهم في البداية .. آملين أن نعود للقسم الأول في المستقبل بإذن الله - إنْ كان في العمر بقية.

والله الموفق إلى أهدى سبيل ... وهو نعم المولى، ونعم الوكيل..!

* * *

قصة نوح

الموضع والدلالـة

قصة نوح – عليه السلام – وردتْ فى (ثمانية وعشرين) موضعًا من القرآن الكريم. وذلك يدل على ما لها من أهمية كبرى فى حياة البشرية، وأنها درسٌ عظيم من دروس الهداية والعظة. والقرآن نفسُه يشير بوضوح إلى دوره العظيم فى قوله تعالى: **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ﴾** [الحديد: ٢٦]. (١)

تلك إشارة صريحة من المولى – عز وجل – إلى مكانة سيدنا نوح عليه السلام، إذ أنه «أول رسول» من أولى العزم النبيل وأصحابِ المكانة السامية. وقد كفر به وآذاه – ماديًا ومعنويًا – أهله وعشيرته، حيث خرجَ عن طاعته أحدُ أولاده.. وزوجه. لكنه رغم ذلك ظل قوىَّ الإيمان صامدَ العزيمة.. خاصة وأنه قد طال عمره قبل الطوفان وبعده، حيث لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، أى أنه عاش يدعو إلى الله ما يقربُ من تسعمائه سنة، لذلك يُضربُ به المثلُ فى.. طول العمر والقدم.

مثلما كان نوح أول رسول يبلغُ رسالاتِ ربه إلى قومه، فإنه يعد أيضًا «الأبُّ الثانى» للبشرية – بعد أبينا آدم عليه السلام. وقد عذبَ الله قومَ نوح بالغرق، حيث أهلكهم بطوفان عرم.. ولم ينج من البشر إلا من كان معه على الفلك. (التى يكنى عنها القرآن بقوله «ذاتِ ألواح ودُسر»، أى أنها مصنوعةٌ من الخشب والمسامير).

معنى هذا أن الذين عمروا الأرض بعد الطوفان.. هم قوم نوح، سواء أكانوا من صلبه وهم أبناؤه: سام وحام ويافث، أم من الذين اتبعوه من المؤمنين برسالته.

فأولئك وهؤلاء جميعًا.. أبناؤه بالدلالة المعنوية للبنوة.. وهم الذين جعلهم الله (خلائفَ) فى الأرض بعد أن أغرقَ الذين كذّبوا بآياته.

* * *

(١) منهم: من ذرية نوح وإبراهيم.

نقدم – فى البداية – (ثبتاً) بأهم المواضع، التى ورد فيها ذكر قصة نوح – فى القرآن الكريم – وهى كما يلى[1] :

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	آل عمران	٣	مدنية	٣٣	١
٢	النساء	٤	مدنية	١٦٣	١
٣	الأنعام	٦	مكية	٨٤	١
٤	الأعراف	٧	مكية	٥٩ – ٦٤	٧
٥	التوبة	٩	مدنية	٧٠	١
٦	يونس	١٠	مكية	٧١ – ٧٣	٣
٧	هود	١١	مكية	٢٥ – ٤٨	٢٤
٨	إبراهيم	١٤	مكية	٩	١
٩	الإسراء	١٧	مكية	٣، ١٧	٢
١٠	مريم	١٩	مكية	٥٨	١
١١	الأنبياء	٢١	مكية	٧٥ – ٧٦	٢
١٢	الحج	٢٢	مدنية	٤٢	١
١٣	المؤمنون	٢٣	مكية	٢٣ – ٣٠	٨
١٤	الفرقان	٢٥	مكية	٣٧	١
١٥	الشعراء	٢٦	مكية	١٠٥ – ١٢٢	١٨
١٦	العنكبوت	٢٩	مكية	١٤ – ١٥	٢
١٧	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١٨	الصافات	٣٧	مكية	٧٥ – ٨٢	٨

(١) استعنا فى هذا الإحصاء ببعض ما ورد فى كتاب : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الثالثة – ١٩٨٦ – ص ٥٤، واستدركنا بعض ما فاته فى هذا المجال.

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١٩	ص	٣٨	مكية	١٢	١
٢٠	المؤمن (غافر)	٤٠	مكية	٥ – ٣١	٢
٢١	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٢	ق	٥٠	مكية	١٢	١
٢٣	الذاريات	٥١	مكية	٤٦	١
٢٤	النجم	٥٣	مكية	٥٢	١
٢٥	القمر	٥٤	مكية	٩ – ١٧	٩
٢٦	الحديد	٥٧	مدنية	٢٦	١
٢٧	التحريم	٦٦	مدنية	١٠	١
٢٨	نوح	٧١	مكية	١ – ٢٨	٢٨
				٢٨ – موضعًا	١٢٩ – آية

من الثبت السابق تتضح الحقائق التالية :

١– ورد ذكر نوح في القرآن في (٢٨) موضعًا، تشتملُ على (١٢٩) آية .. وهذا يؤكد مدى عناية القرآن الكريم بنوح وبقصته : لما له من دور ديني عظيم .. ولما لسيرته العطرة من حكم زاجرة، ودروس واعظة ، لذلك كان من المصطفين الأخيار .. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)** ﴾ [آل عمران : ٣٣ ، ٣٤] .

* * *

٢ – إن نوحًا وقصته قد وردا في واحد عشرين موضعًا أو « سورة » من السور (المكية) .. والآيات التي تقص قصته بلغ عددها : (١٢٢) مائة واثنتيْن وعشرين آية . معنى هذا **أن قصةَ كفاح نوح الرسول مع قومه قصها الله – في مكة – على نبيه ، لكي يثبِّتَ**

فؤاده، ويوضح أن ما يلقاه من عناد وتكذيب، وإعراض وتعذيب، قد تعرض له من كانوا قبله من الرسل. كما كان ذكرُ القصة مهما بالنسبة للمؤمنين، حتى يزدادُوا إيمانًا مع إيمانهم. وهو مهم - أيضًا - بالنسبة للكافرين، حتى يعتبروا ويرجعوا عن ضلالهم، إذا عرفوا عاقبة مَنْ قبلهم من المكذّبين الضالين.

وهذا واضح من قوله تعالى فى سورة «يونس».. وهى مكية:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٣]. (١)

* * *

٣ - نظرًا لأن معظم عناصر سيرة نوح قد وردت بالتفصيل فى سور (**العهد المكى**) فى أثناء وجود الرسول ﷺ فى مكة المكرمة، قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، فلم يكن ثمةَ داعٍ للحديث عنها مرةً أخرى فى السور المدنيّة - التى أنزلت على الرسول فى أثناء إقامته بالمدينة. وما ورد من ذكر نوح كان مجرد إشارة عابرة، لذلك نجد ذكره فى كل سورة من السور المدنية لا يزيد عن (آية) واحدة. وعلى هذا فقد **تحولت القصة المفصلة فى سُورِ العهد المكى إلى مجرد (مثل عابر) فى آيات العهد المدنى** - كما نجد فى تلك الآية الكريمة.. على سبيل المثال فى هذه السورة المدنية:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾

[التحريم: ١٠].

من هنا وجدنا أن ذكرَ نوح عليه السلام، قد ورد فى العهد المدنى فى (٧) سبعة مواضع.. وكل موضع يتكوّن من آية واحدة - فى الغالب.

* * *

(١) كبر مقامى: صعب عليكم وجودى بينكم - اجمعوا: احزموا. غمة: خفاء - اقضوا إلىّ: أخبرونى - تنظرون: تنتظرون وتتأخرون - الفلك: السفينة - خلائف: ورثة، يخلفون من قبلهم.

الجدول التالي يوضح نسبة المواضع والآيات، كما وردت في المرحلتين المكية والمدنية:

العهد	الموضع	الآيات	النسبة
المكي	٢١	١٢٢	٩٤٫٥٤ ٪
المدني	٧	٧	٥٫٤٦ ٪
المجموع	٢٨	١٢٩	١٠٠ ٪

* * *

٤- إن هناك سبعة (٧) مواضع مطولة.. أو شبه مطولة - وردتْ فيها قصة نوح مع قومه - بيانها كالتالي:

مسلسل	السورة	رقم الآيات	عددها
١	نوح	١ - ٢٨	٢٨
٢	هود	٢٥ - ٤٨	٢٤
٣	الشعراء	١٠٥ - ١٢٢	١٨
٤	القمر	٩ - ١٧	٩
٥	المؤمنون	٢٣ - ٣٠	٨
٦	الصافات	٧٥ - ٨٢	٨
٧	الأعراف	٧٥ - ٨٢	٧
—	٧	—	١٠٢ - آية

هذه المواضع المطولة.. وشبه المطولةِ - فيها قدر من التشابه والتقارب والتكامل في الإطار العام لعناصر بناء القصة.. أو لبعض تفاصيلها الجزئية، لأن الله جلتْ قدرته، وتعالتْ مشيئته أراد - وهو تعالى أعلم، وأعز وأكرم - أن يوضّح لعباده المؤمنين عدة أمور:

الأول: تأكيدُ (**وحدة النص القرآني**) .. وأن ما يرد مجملاً فى موضع، يأتى مفصلاً فى موضع آخر، فالقرآنُ يفسِّر بعضُه بعضًا، وتشرح آياته الكريمة بعضها بعضًا. وهنا يتم ما يسمى بالتفسير (الداخلى) للنص المقدَّس. وهذا وجه من وجوه (إعجاز) القرآن الكريم، الذى لا تُحصى أسرار بلاغته، أو تعد مجالاتُ إعجازه. يروى أن الوليدَ بن المغيرة حين سمعَ القرآن قال عنه: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو، وما يعلى عليه. فقال له أبو جهل: إن هذا لا يرضى الكفار من قومك الذين أنت واحد منهم. فقال له الوليد: دعنى أفكر. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه؟». وفى ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)**﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٤](١).

* * *

الثانى: إن الله - سبحانه وتعالى - كان يختارُ من قصصِ رسله وأنبيائه ما يلائم (الموقف) النفسى للرسول والذين آمنوا معه، فكان - جل وعلا - يقدّم جزءا من القصة، يناسبُ طبيعةَ الحالة التى كانوا عليها، لذلك فإن الوعىَ بمناسبات النزول أمر مهم - بل أمر واجب، من أجل الفهم الكامل لآيات الذكر الحكيم.. ﴿ ... **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)**﴾ [البقرة: ٢٦٦]، حتى يقدم المولى لعباده أكثر من عبرة من خلال قصة واحدة.. وبهذا يصدق قوله جلّ من قائل: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)**﴾ [الأنعام: ٩٧](٢).

* * *

الثالث: إن عناية الذكر الحكيم بقصة سيدنا نوح - عليه السلام - بهذا الشكل المفصل فى مواضع عدة، يوضح مدى الجهد والجهاد، اللذين بذلهما هذا الرسول الكريم - على المستويين: النفسى والمادى - من أجل إعلاء كلمة الله ونشر عبادته بين

---

(١) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن، ط دار المعارف، القاهرة - الثامنة - ١٩٧٥ - ص ١٣.

(٢) فصلنا: وضحنا دلائل القدرة والرحمة.

قوم مشركين، خاصة أنه **أول رسول من ذرية آدم** – عليهما السلام. ومن المعروف أن الفترة التاريخية بينهما كانت طويلة إلى حد ما. وهذا ما جعل قوم نوح يعبدون الأصنام، ويصرون على الكفر وعصيان الرسول. وإصرارهم على الكفر – هو الذى جعل الله يبيدهم بالطوفان جزاء كفرهم وعصيانهم، وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. هذا ما يظهر جليا من آيات سورة «الأعراف» المكية، التى يقولُ فيها سبحانه:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ [**الأعراف**: ٥٩ – ٦٤].(١)

فتلك الآياتُ الكريمة تقصُّ سيرةَ نوح مع قومه، لكنها – فى الوقت نفسه – موجهةٌ إلى الرسول (ﷺ)، حتى يصبر على ما يلقي من نكرانٍ وعصيان. وهذه إحدى وظائف القص النبيلة فى الذكر الحكيم.

* * *

(١) الملأ: أهل الصدارة والزعامة – ضلال: بُعد عن الحق والصواب – ضلالة: جهالة – رسالات ربى: أوامره ونواهيه – عامين: غير مبصرين للحق (عمى معنوى).

فى ضوء الآيات القرآنية

سنورد فى هذا الجزء (نص) الآياتِ الكريمة، التى وردتْ فيها قصةُ نوح – عليه السلام – بشكل مفصل أو مجمل، لان بعضها يذكر قصة ذلك النبى الكريم وما حدثَ له مع قومه قبل الطوفان وبعده . والقسم الآخر فيه إشارةٌ سريعة إلى ذكر نوح الرسول وقومه فى معرض الحديث عن الرسل والأنبياء الآخرين.

* * *

القسم الأول: مواضعُ القصة وعناصرُها

أولاً : سورة «نوح»

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)

مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥)

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨) ﴾ [نوح: ١ – ٢٨].

* * *

ثانيًا: سورة «هود»

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)

فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣)

وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧)

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا

جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠)

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١)

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)

قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [هود: ٢٥ – ٤٨].

* * *

ثالثًا: سورة «الشعراء»

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨)

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)

قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١)

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥)

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨)

فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٢٢].

* * *

رابعًا: سورة «القمر»

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر: ٩ - ١٧].

* * *

خامسًا: سورة «المؤمنون»

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥)

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾ [المؤمنون: ٢٣ - ٢٩].

* * *

سادسًا: سورة «الصافات»

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٨٢) ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٨٢].

* * *

سابعًا: سورة «الأعراف»

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)

قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٦٠)

قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢)

أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ [الأعراف: ٥٩ – ٦٤].

* * *

ثامنًا: سورة «يونس»

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) ﴾ [يونس: ٧١ – ٧٣].

* * *

تاسعًا : سورة «الأنبياء»

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ، ٧٧] .

* * *

عاشرًا : سورة «العنكبوت»

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) ﴾ [العنكبوت : ١٤ ، ١٥] .

* * *

حادى عشر : سورة «غافر - المؤمن»

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) ﴾ [غافر : ٥] .

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) ﴾ [غافر : ٣١] .

* * *

ثانى عشر : سورة «التحريم»

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾ [التحريم : ١٠]

* * *

القسم الثانى : مواضعُ تتصلُ بالتمثيل والموازنة

١ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

٢ - ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ... ﴾ [النساء : ١٦٣] .

٣ - ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ .... ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

٤ - ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ

وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة: ٧٠].

٥ - ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٩].

٦ - ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣]

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧].

٧ - ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ... ﴾ [مريم: ٥٨].

٨ - ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحج: ٤٢].

٩ - ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٧].

١٠ - ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧].

١١ - ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ [ص: ١٢].

١٢ - ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣].

١٣ - ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ [ق: ١٢].

١٤ - ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٦].

١٥ - ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النجم: ٥٢].

١٦ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد: ٢٦].

الإطــار .. والمغْــزَى

إن من يقرأ فى بعض كتب قصصِ الأنبياء[1] يجد تفاصيل كثيرة، لا حاجة لها فى فهم الإطار العام للقصة - كما ذكرها القرآن الكريم. ولا ريب أن القرآن الكريم كان يقصد إلى أهداف نبيلة محددة، لذلك قصر عناصر القصّ على ما ذكر فحسب، حتى تتضح - مباشرة - المغازى الجليلة الأولى بالرعاية فى هذه القصص. والمولى سبحانه وتعالى يشير إلى ذلك فى قوله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)** ﴾ [**يوسف**: ١١١][2].

ويبدو أن بعض كتّاب قصص القرآن استعانوا فى شرحهم للقصص ببعض ما ورد فى «الكتاب المقدس».. خاصة «التوراة»، وفتحوا الباب لدخول ما يسمى بـ«الإسرائيليات». ومعظم ما جاءوا به من تفاصيل وإضافات ليس له كبير أهمية فى فهم القصص الدينى، أو فى إظهار غاية معينة يهدف إليها القرآن الكريم، حين ذكر أن قصص الأنبياء «أحسن القصص»، لأنها تقوم على بلاغة (الإيجاز)، لأن الإعجاز فى التعبير يأتى - غالبًا - عن طريق أسلوب الإيجاز. فنجد - مثلا - الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى (٧٠٠-٧٧٤ هـ) يتوقف فى بداية القصة، ليكمل سلسلة النسب بين نوح وآدم.. كما يحاول أن يحدد الفترة الزمنية بينهما بالسنين والقرون.. وتحديد عمر نوح الزمنى يوم بعث بالرسالة: «فقيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين، وقيل ابن أربعمائة وثمانين، حكاها ابن جرير (الطبرى)، وعزا الثالثة إلى ابن عباس»[3].

---

(١) يراجع على سبيل المثال:

- أبو إسحاق النيسابورى الثعلبى: قصص الأنبياء المعروف بعروس المجالس، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥ - ص ٥٤ - ٦٠ .
- الحافظ إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، ط مطبعة الانوار المحمدية - القاهرة - (د.ت) ص ٦٤-٦٧ .
- الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ط دار الفكر العربى، القاهرة (د.ت) جـ١، ص ١٠١ - ١٠٢ .
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٦ - ص ٥٣ - ٧٧ .

(٢) قصصهم: أى قصص الأنبياء - عبرة: عظة وحكمة .

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء - ص ٦٥ .

هذه التفاصيل – وكثير أمثالها – ليست لها أهمية فى فهم المغزى المراد من القص القرآنى. فالأمر (المسكوت عنه) مُغيَّبٌ لحكمة بالغة، يعلمها الله وبعض الراسخين فى العلم. على هذا سنحاول من خلال النصوص القرآنية أن نوضح – باختصار – الإطار العام لقصة نوح عليه السلام وبعض ما تدل عليه من المواعظ والمغازى.

* * *

نوح – عليه السلام – يُعد أول رسول – من أولى العزم – بُعث إلى أهل الأرض بنص القرآن نفسه، إذ قال لقومه ﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)** ﴾ [الشعراء: ١٠٧]. وكل الأنبياء من ذريته، بل إن البشر كلهم من ذريته وذرية من اتبعوه من المؤمنين، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)** ﴾ [الصافات: ٧٧]. كما أنه كان كثير العبادة والصيام والشكر لله بالنية والقول والفعل، لذلك يقول عنه القرآن ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)** ﴾ [الإسراء: ٣]، أى أن نوحا كان يتميز بأمرين: طُول العمر وحُسْن العمل، ولعل طول عمره كان (معجزة) فى حد ذاته، لأنه لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً[١].

وقد ضل قوم نوح الطريق إلى عبادة الله بسبب طول الفترة الزمنية بين آدم ونوح، وعبدوا مجموعة من الأصنام، ذكرت أسماؤها فى مجال الحوار بين نوح وقومه بعد أن دعاهم فلم يستجيبوا: ﴿ **قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)** ﴾ [نوح: ٢١ – ٢٣].

لقى نوح من قومه أصنافا من العناد والكبر والعذاب، واتهموه بالجنون، ورأوا أن الذين اتبعوه هم أراذل الناس، وطلبوا منه أن يتخلى عن المؤمنين، وإلا رجموه بالحجارة. وقد تربصوا به وبالمؤمنين معه، وأذاقوهم ألوانا من العذاب والاستهزاء. وإذا ما أدركنا أن نوحا – عليه السلام – قد لبثَ فى قومه قبل الطوفان فترةً طويلة من الزمان، لعلمنا مدى ما تحمله من قومه من العذاب واللجاج فى الخصومة والعداوة، لذلك دعا ربه وهو مغلوب ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي**

---

(١) السنة والعام بمعنى واحد تقريبا، وقد ذكرت الكلمتان لتجنب التكرار اللفظى.

دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ٥ - ١٢].

كان نوح فى دعوته لهداية قومه، يُعدد لهم مظاهر نعم الخالق - سبحانه، ويوضح لهم - بالحكمة والمنطق - آيات الله وشواهدَ عظمته فى الكون وفى أنفسهم - بالإضافة إلى ما سوف يلقونه من نعيم مقيم فى الآخرة، ومن ثم أخذَ يجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة - كما تذكر الآيات الكريمة ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

رغم ذلك كذبوه وعذبوه .. وطال صبره وصبر من آمن معه. تلك هى المأساة .. وهذه هى المفارقة المبكية: إنه يريد لقومه النجاة فى الدنيا والآخرة، ويتمنى أن يخرجهم من ظلام الكفر وعبادة الأوثان، إلى نور الإيمان وعبادة الرحمن. لكنهم كفروا به، وسخروا منه: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٤، ٢٥].(١)

وبسبب العناد والظلم والضلال ضاق بقومه، لذلك فإنه.. ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح: ٢٥، ٢٦].(٢)

* * *

حين استغاث نوح بربه استجاب لدعائه، فنصر رسوله ومن آمن معه. هكذا تتجلى صفة (العدل) بأسمى معانيها، لقد أنذر الله الكافرين .. لكنهم لم يهتدوا.. ولم يكفوا عن إيذاء الرسول والمؤمنين، فحق عليهم العذاب:

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦].

---

(١) جنة: جنون.

(٢) تذر: تُبقى - ديارا: أحداً يدور على الأرض.

تحقق ذلك بأن أمره الله أن يصنع سفينة كبيرة من الخشب والمسامير، حتى إذا جاء وعد ربك «وفار التنور»، حمل فيها نوح كل من آمن به : من أهله ومن قومه. كما حمل أيضًا من الطيور والدواب زوجين: ذكرًا وأنثى، حتى تعمر الأرض بعد الطوفان.

هنا تظهر المعجزةُ الباهرةُ والآيةُ الساطعة التى أيَّد بها المولى عزَّ وجلَّ رسولَه نوحاً عليه السلام - الذى كان يعيشُ وقومَه فى شمال العراق - تلك المعجزة .. هى إلهامُ الله إياه ليصنعَ سفينة ضخمة ذات ألواح ودسر - أى مصنوعة من الخشب والمسامير، تتسعُ لركوب المؤمنين به، وحمل بعض الكائنات التى تساعد البشر على الحياة: ويكونُ من كلٍ منها زوْجان: ذكرٌ وأنثى، حتى تعمر الأرض وتكمل مسيرة الحياة.

حتى تبرز معجزةُ نوح - وتقومَ بدورها، وتظهر صدقَ دعوته - أرسل اللهُ الطوفان العرم بمشيئته وقدرته، لكى ينقذ المؤمنين بنوح، ويهلك العصاة حتى لو كانوا من أهل بيته. وقد صدر الأمر الإلهى الحكيم بظهور الطوفان عندما «فار التنور»، والمقصود بذلك عند جمهور المفسّرين وجهُ الأرض، أىْ نبعت الأرض (الماء) من سائر أرجائها، حتى نبعت (من) التنانير (الأفران) التى هى مجال النار...».

وتأييدُ الله له بُصنع السفينة وفيضان الطوفان يؤكدان أن الربّ الخالق العظيم رءوف رحيم بالمؤمنين، ومنتقم شديدُ العقاب بالنسبة للعصاة والكافرين[1].

* * *

يذهب بعض الشراح والمفسِّرين إلى أن نوحا حمل معه من أبنائه الذكور ثلاثة، هم: سام - حام - يافث.. وترك ابنه العاصى كنعان، وزوجته الخائنة. ويرون أيضًا أن الابن العاصى كان من هذه الزوجة الخائنة[2] - والله تعالى أعلم.

والآيات التى تصور موقف نوح من ابنه، وردت فى سورة «هود» .. وهى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا**

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية - جـ١، ص١١١.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٦٣.

تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود: ٤٠ - ٤٣].(١)

تلك حكمة بالغة من حكم ربنا سبحانه وتعالى فى هذه القصة الدينية الخالدة، وهى: **إن الخيانة وعدم الطاعة قد تأتيان من الزوج.. أو من الولد**. فهذا هو الرسولُ العظيم نوح قد خرج عن طوْعه ابنه وزوجه.. وذلك لا يقلل من شأن نوح عليه السلام، ولا يشفع لمن كفر من أهله، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، لذلك يحذرنا الله سبحانه فى محكم تنزيله قائلاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤)** ﴾ [التغابن: ١٤].

صدقَ الله وعدَه.. فنجى نوحا والذين آمنوا معه، وأغرق الكاذبين الكافرين ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)** ﴾ [يونس: ٧٣].

* * *

هذه - باختصار شديد - أهم معالم قصة نوح - عليه السلام .. التى ذكرها الله - سبحانه - لرسوله والمسلمين، ليدركوا أن الله ينجي المؤمنين، ويهلك المشركين، لأنه يقول - جلّ من قائل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ولم نشأ عامدين أن نشرح عناصر القصة، **لأننا نفضل أن تُقرأ من خلال النص القرآنى نفسه، حتى نزداد معرفة به**، ويقينا لما يدعونا إليه. والله يقول الحق، ويهدى إلى سواء السبيل.

ذكر أبو إسحاق النيسابورى (ت ٤٢٧هـ) **بعض أفضال نوح عليه السلام**، فقال: «لم يُسمَّ أحدٌ من الأنبياء باسمه، وسُمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه - وكان أول نبى من أنبياء الشريعة، وأول داع من الله تعالى، وأول نذير عن الشرك، وأول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه..

وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً، وقيل أكبرُ الأنبياء، وشيخُ المرسلين، وجعل الله معجزته فى نفسه، لأنه عمَّر ألفَ سنة، لم ينقص له سن، ولم تنقص له قوة. ولم يبالغ أحد فى الدعوة مثل ما بالغ، وكان يدعو قومه ليلا ونهارا، إعلانا وإسرارا. ولم يلق نبى

---

(١) مجراها ومرساها: مسيرها ووقوفها - يعصم: يحمى وينقذ - حال: منع وفصل.

من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقى . . لأنهم « كانوا قومًا فاسقين » .
كما جعله الله ثانى المصطفين فى الميثاق والوحى . وفى البعث هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ . وأعطاه الله الفلك وعلمه صنعته، وحفظه بما فيه وأجراه فى الماء . وسماه (عبداً) شكوراً . وأكرمه بالسلامة (النجاة) والبركة . .
وجعل ذريته هم الباقين ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ﴾ [الصافات : ٧٧ - ٨١] . (١)

* * *

تعقيب

تلك أهم عناصر القصة . . وهذه بعض خصائص ذلك الرسول العظيم - الذى عده الله - سبحانه وتعالى - من الرسل أولى العزم، نتيجة ما ضحى، وماتحمل من أجل هداية البشر وتبليغ رسالة الخالق - سبحانه وتعالى - إلى عباده فى ذلك الزمان البعيد .

تلك كانت عاقبة نوح ومن آمن معه . . وغيرها كانت نهاية من كذبوا بالرسالة والرسول . . . فاعتبروا يا أولى الألباب .

هذه أهم الحكم البالغة والآيات النافذة، التى أراد الله سبحانه أن يوضحها لعباده من ذكر قصة نوح، فقال عزّ من قائل : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر : ١٥ - ١٧] .

نعم . . ما أوضح آياتك وما أنصع كلماتك يارب العالمين، لقد يسرت القرآن لعبادك . . ولكن هل من معتبر ومتعظ ؟!

سلام على نوح فى العالمين، إنه من المصطفين المكرمين، ومن عباد الله الصالحين، ورسله المفضّلين، وفى قصته آيات للسائلين، الذين يريدون صلاح الدنيا والدين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

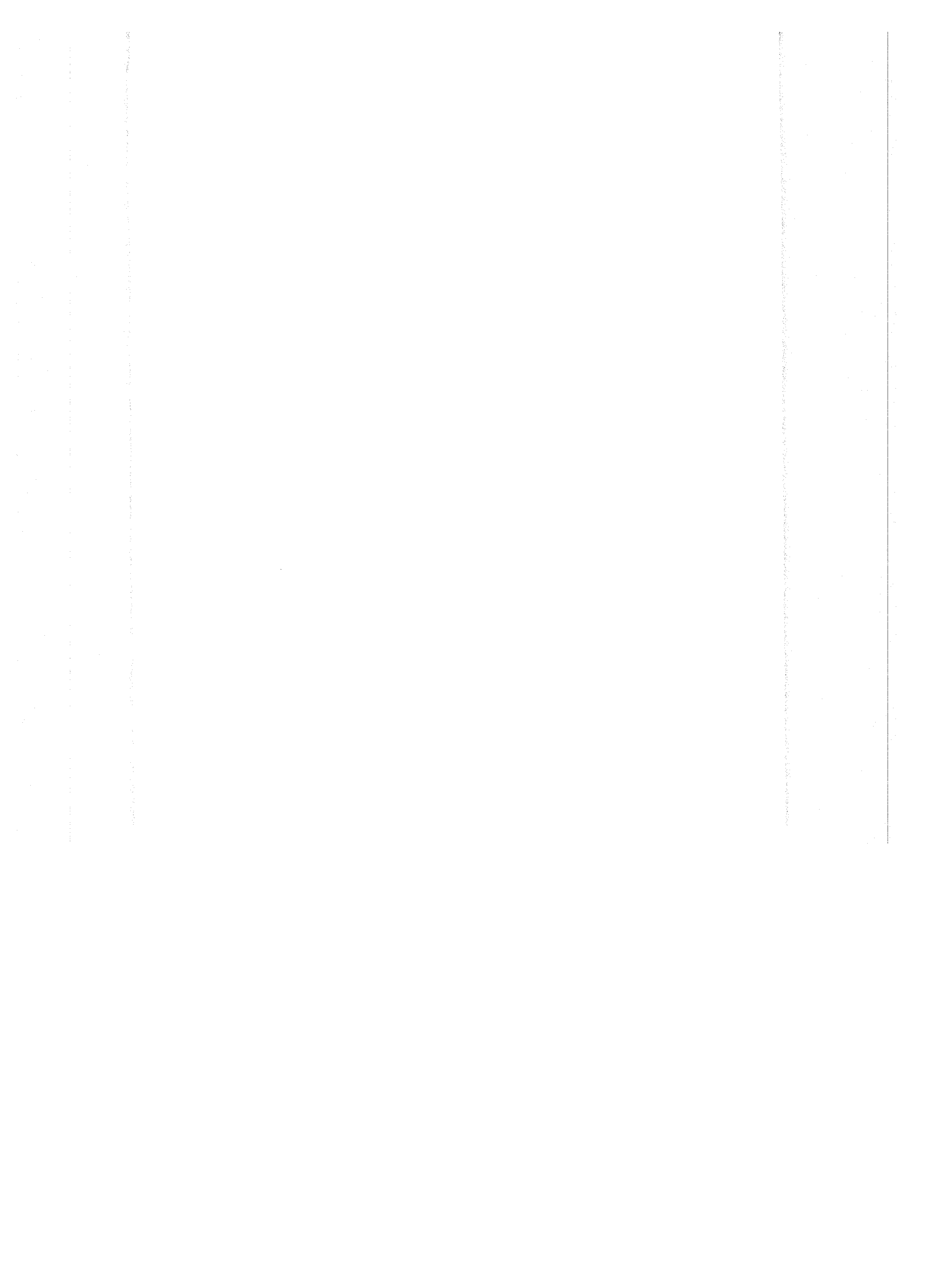
* * *

---

(١) أبو إسحاق النيسابورى : عرائس المجالس، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥ - ص ٦٠، ٦١ .

الفصــل الثانى

إبراهيمُ .. أبو الأنبياءِ
ومؤسسُ الكعبة



قصة إبراهيم الخليل

يشغل سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مكانةً رفيعة ومنزلة سامية فى تاريخ الأديان السماوية كلها . ويحملُ عدة ألقاب وكنى ، تؤكد تلك الدرجة المقدسة .. منها :

١ – **خليل الله** : وهى صفة مستمدة من قوله تعالى : **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾** [النساء : ١٢٥] .

فالآية الكريمة تصف إبراهيم بصفتين – وردتا بصيغة « المبالغة » على وزن (فعيل) :

الأولى : إنه كان حنيفًا .. أى مُبتعدًا عن الشرك بالله ، ومائلاً عن العقائد الباطلة عن بصيرة ، ومقبلا على الحق ، ومستقيما على نهج الدين القيِّم .

الثانية : خليل الله .. أى الصفىُّ المصطفى الموحد لربه ، المخلص فى عبادته ، لذلك اتخذه الله خليلا . « وهذا من باب الترغيب ، لأنه إمامٌ يقتدى به ، حيث وصل إلى درجة الخلة ، التى هى أرفع مقامات المحبة ، لكثرة طاعته . وقد وصفه الله فى آية أخرى **﴿ وإبراهيم الذى وفىّ .. ﴾** أى وفىً كل مقامات العبادة »[١] .

* * *

٢ – **أبو الأنبياء** : من المعروف أن نسب إبراهيم ينتهى إلى سام بن نوح . (وقد وردت فى بعض كتب قصص الأنبياء – نقلا عن التوراة – سلسلة النسب بينهما) . كما رزق بولديْنِ من الذكور ، هما :

– إسماعيل : (ابن السيدة هاجر المصرية) .

– إسحق : (ابن السيدة سارة – زوجته الأولى) .

وكل الرسل والأنبياء ، الذين عاصروا إبراهيم مثل : لوط (وهو ابن أخى إبراهيم) .. وإسماعيل ، وإسحق ، أو جاءوا بعده مثل : يعقوب ، ويوسف ، وهود ، وصالح ، وذو الكفل ، وشُعيْب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وأيوبَ ، ويونس ، وزكريًا ، ويحيى ، وعيسى .. وأخيرًا محمد . هؤلاء الرسل والأنبياء – جميعًا – ينتهى نسبهم إلى

(١) مختصر تفسير ابن كثير : اختيار وتحقيق محمد على الصابونجى ، ط دار القرآن الكريم – بيروت – ١٩٨١ – جـ ١ – ص ٤٤٢ .

سيدنا إبراهيم عليه السلام. وإلى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد: ٢٦].

بعد هذا الإجمال يفصل الله أسماء النبيين من ذرية إبراهيم فى سورة «الأنعام» فيقول ربنا جلّ وعلا: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٧].

من هذه الآيات الكريمة - وغيرها - يوضح القرآن الكريم أن معظم الأنبياء والرسل، ينتهى نسبهم إلى سيدنا إبراهيم خليل الله.. الذى اختاره واصطفاه من دون العالمين. فإبراهيم ونسله ذرية طاهرة مؤمنة، لذلك اختصهم الله بحمل رسالته وتبليغ شريعته. وعلى هذا فإن كل نبيّ بُعث بعد إبراهيم فهو من ذريته.

* * *

٣ - **مؤسس الكعبة**: بعد أن ترك إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل - فى الوادى الذى توجدُ به مكة المكرَّمة - كان يزورهما من حين لآخر. وفى إحدى تلك الزيارات - بعد قصة الفداء - أُمر أن يبنى بيتا لعبادة الله، تُقضَى فيه مناسكُ العبادة وشعائرها. والمكان المختار لبناء الكعبة كان بوحى من الله. ويسمى أيضًا «البيت الحرام»، أى الذى يحرم فيه صيد الطير، وقتل أى كائن حى إلا فى حالة الاضطرار القصوى.

هناك بعضُ أحاديثَ وروايات تشيرُ إلى **أن المكان الذى بُنيتْ فيه الكعبة المشرَّفة، مكان مبارك مقدس منذ عهد آدم إلى يوم القيامة**. يقول الرسول ﷺ **«إن هذا البلد (مكة) حرَّمَه الله يومَ خلق الله السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة»**(١).

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٧١.

على هذا تكون الكعبة (أول بيت) وضع لعبادة الله منذ ذلك التاريخ البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وإلى ذلك تشير كثير من الآيات الكريمة منها :

﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)** ﴾ [**آل عمران : ٩٦ ، ٩٧**] .

بكة : هى – مكة ، لأن الباء والميم كليهما من الحروف الشفوية ، التى تنطق من الشَّفة . يبدو – والله أعلم – أن بكة كانت الاسم القديم لمكة .. ثم حدث إبدال صوتى بين الحرفين – (الباء والميم) – لقرب مخارج النطق بينهما . وفى هذا يقول ابن كثير : « بكة من أسماء مكة . قيل سميت بذلك لأنهما تبك أعناق الظلمة والجبابرة ، بمعنى أنهم يُذلون بها ، ويخْضعونَ عندها . وقيل لأن الناس يتباكون فيها ، أى يزدحمون . . . وقد ذكروا لها أسماء كثيرة هى : مكة – بكة – البيت العتيق – البيت الحرام – البلد الأمين – أم القرى – القادس ، لأنها تطهر من الذنوب – المقدسة – الحاطمة – الرأس – البلدة – البنية – الكعبة »[١] – مقام إبراهيم .

* * *

٤ – **أبو المسلمين** : من الصفات الرفيعة ، التى يُوصف بها سيدنا إبراهيم عليه السلام – أيضًا – أنه (أبو المسلمين) .. وقد وصفه ربه ومولاه وصفا صريحا بهذه الصفة فى سورة الحج حين قال سبحانه : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)** ﴾ [الحج : ٧٨] .[٢]

كما ورد تأكيد لذلكَ أيضًا فى سورة آل عمران : ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)** ﴾ [آل عمران : ٦٨] .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير – جـ ١ – ص ٣٠١ .

(٢) اجتباكم : اختاركم واصطفاكم – حرج : ضيق وعسر – ملة : دين – فى هذا : فى القرآن سماكم المسلمين ايضا .

فإبراهيم الخليل يوصف بانه « أبو المسلمين »، وعلى هذا فإنَّ أولى الناس بالنسبة إليه ليس اليهود أو النصارى، وإنما النبى محمد ﷺ ومن اتبعه من المسلمين.

من هذه الصفات – وغيرها – تتضحُ المكانةَ الرفيعة لشخصية إبراهيم عليه السلام فى تاريخ الأديان السماوية، لأنه أبو الرسل والأنبياء جميعًا.. وهو بانى أول بيت مقدس وُضع لعبادة الله وأداءِ كثير من الشعائر مثل الصلاة والحج والزكاة والأضحية، لذلك استحق أن يكونَ خليل الله الذى اختاره واصطفاه فى الدنيا والآخرة، لأنه من المشفعين فى العباد يوم القيامة بعد رسولنا محمد عليهما السلام. كما أن المسلمين مطالبون بأن يصلوا عليه فى كل صلاة.. بل فى كل تشهد.

* * *

كذلك فإن إبراهيم يعدُّ أول رسول، له رسالة مدونة. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)** ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

معنى هذا أن ما جاءبه محمد ﷺ ليس جديدا كله، وإنما بعضُه قديم وموجود فى « صحف إبراهيم وموسى » عليهما السلام. وقد وردت إشارة أخرى لهذا المعنى فى سورة « النجم »، حيث تقول الآية الكريمة: ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)** ﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧].

هكذا تضاف إلى مآثر إبراهيم ماثرة أخرى ...وهى أنه كان أول رسول صاحبَ رسالة مدونة فى الصحف .. أى مكتوبة فى الأوراق.

* * *

مواضع ذكر إبراهيم وقصته

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	البقرة	٢	مدنية	١٢٤ – ١٣٦	١٣
				١٤٠	١
				٢٥٨	١
				٢٦٠	١ = ١٦
٢	آل عمران	٣	مدنية	٣٣ – ٣٤	٢
				٦٧ – ٦٨	٢
				٨٤	١
				٩٥–٩٦–٩٧	٣ = ٨
٣	النساء	٤	مدنية	٥٤ – ٥٥	٢
				١٢٥	١
				١٦٣	١ = ٤
٤	الأنعام	٦	مكية	٧٤ – ٨٩	١٦
				١٦١	١ = ١٧
٥	التوبة	٩	مدنية	٧٠ – ١١٤	٢
٦	هود	١١	مكية	٦٩ – ٧٦	٧
٧	يوسف	١٢	مكية	٦ – ٣٨	٢
٨	إبراهيم	١٤	مكية	٣٥ – ٤١	٧
٩	الحجر	١٥	مكية	٥١ – ٦٠	١٠
١٠	النحل	١٦	مكية	١٢٠ – ١٢٣	٤
١١	مريم	١٩	مكية	٤١ – ٥٠	١٠
				٥٨	١ = ١١
١٢	الأنبياء	٢١	مكية	٥١ – ٧٣	٢٣
١٣	الحج	٢٢	مدنية	٢٦ – ٢٩	٤
				٤٢ – ٤٣	٢
				٧٨	١ = ٧

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١٤	الشعراء	٢٦	مكية	٦٩ – ٨٨	٢٠
١٥	العنكبوت	٢٩	مكية	١٦ – ٢٧	١٢
١٦	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١٧	الصافات	٣٧	مكية	٨٣ – ١١٣	٢١
١٨	ص	٣٨	مكية	٤٥ – ٤٧	٣
١٩	الشُّورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٠	الزخرف	٤٣	مكية	٢٦ – ٢٩	٤
٢١	الذاريات	٥٠	مكية	٢٤ – ٣٧	١٤
٢٢	النجم	٥٣	مكية	٣٦ – ٣٧	٢
٢٣	الممتحنة	٦٠	مكية	٤ – ٥	٢
٢٤	الأعلى	٨٧	مكية	١٨ – ١٩	٢
= ١٦٠ مكية + ٤٠ مدنية = ٢٠٠ آية					

من هذا الثبت يتضح ما يلى :

١ - **إن ذكر إبراهيم وقصته قد وردا فى سبع عشرة سورة(مكية)** .. تشتمل على مائة وأربعين آية . كما وردَ ذلك أيضًا فى **سبع سور (مدنية)** .. تشتمل على أربعين (٤٠) آية .

٢ - **إن قصة إبراهيم قد وردتْ معظمُ تفاصيلها وعِبرها فى العهد المكى**، حتى يثبِّت اللهُ قلبَ رسوله محمد، ويقدم لقومه ذكرَ من قبلهم من الرسل، حتى يقتنعوا أن الرسول، يوحى إليه تواريخ من سبقه من الرسل وما حدث لهم مع أقوامهم . **إن من مظاهرِ (إعجاز القرآن الكريم) أنه يقدم أخباراًوأحاديث وقصصًا ومعلومات، تتصل بسير الرسلِ والأنبياء السابقين وتاريخ الأمم الماضية .. ويستشرف بعض أنباء الغيب، التى تتصل بالله وملائكته والجن واليوم الآخر وغير ذلك**. هذا كله لم يكن للرسول

وقومه به علم . . فحين يأتى القرآن بتلك الأنباء كلها، فإن فى ذلك آية على أنه تنزيلٌ من رب العالمين، الذى يجبُ أنْ يؤمنوا به ويعبدوه، ويصدقوا الرسولَ الذى جاء به، لذلك يطلبُ الله – سبحانه – من عباده أن يتدبروا ما جاء فى القرآن، ويطيعوا ما أمر به الرسول، لأن من يطع الرسول، فقد أطاع الله . . ومن يتول ويعرض، فإنك – يا محمد – لست عليهم بحفيظ أو مسيطر .وفى هذا المعنى تقول الآية الكريمة : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء : ٨٢] .

* * *

٣ – النسبة المئوية – بين الآيات المكية والمدنية – يمكن أن نتبينها من الجدول التالى :

العهد	الموضع	الآيات	النسبة
المكى	١٧	١٦٠	٪ ٨٠
المدنى	٧	٤٠	٪ ٢٠
المجموع	٢٤	٢٠٠	٪ ١٠٠

معنى هذا أن ما ورد – فى سور العهد المدنى – يكاد يصل إلى (خُمس) النسبة، لأن الإسلامَ كان قد استقر فى أثناء وجود الرسول والمسلمين فى المدينة المنورة . إن قصةَ إبراهيم – مثل قصة نوح . . عليهما السلام – قد وردت معظمُ تفاصيلها فى مرحلة العهد المكى . ويبدو أن معظم ما جاء فى العهد المدنى، قد ورد فى سياق الحوار والجدل بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى خاصة اليهود، الذين كانوا موجودين بكثرة فى « يثرب » . فسورة « البقرة » وهى أطول سورة – فى العهد المدنى وفى القرآن كله – ورد فيها حديث عن إبراهيم الخليل، لكن الحديث – فى مجمله – ليستْ له علاقة كبيرة بالقصة . . كما تجد فى هذه الآيات على سبيل المثال :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ

اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١) ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٤١].

فهذه الآياتُ الكريمة – فى مجملها – جاءتْ فى سياق المجادلة والمحاجة والمقارنة بين الإسلام وغيره من الديانات، حتى توضح لأهل الكتاب أنَّ عقيدةَ محمد مثل عقيدة إبراهيم، فكلاهما حنيف مؤمن خالص الإيمان بعيدعن الشرك. كذلك يؤكد معنى الجدل والمحاجة فى الآيات أن الفعل (قال) ورد ست مرات فى هذا السياق، لأن الله سبحانه يريد أن يؤكد لليهود والنصارى أن محمداً لم يأت برسالة مختلفة عما سبقه من الرسالات، وإنما دينه مثل دين إبراهيم وملته، وأنهم لو صح إيمانهم باليهودية والنصرانية، لآمنوا بالإسلام وبرسالة محمد. وبالله الحى القيوم، الذى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

* * *

٤ – يمكن أن نعيد ترتيب الآيات الكريمة – التى وردتْ فيها قصةُ إبراهيم عليه السلام وأخبارِ سيرته ومغازى نبوته وأهداف رسالته – ترتيباً (تنازليا) بحسب الكثرة العددية، فتكون مقسمة إلى ثلاث مجموعات هى: أ – الكبيرة – ب – المتوسطة – جـ – القليلة، وبيانها كما يلى:

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عددها
أ – ١	الأنبياء	٢١	مكية	٥١ – ٧٣	٢٣
٢	الصافات	٣٧	مكية	٨٣ – ١١٣	٢١
٣	الشعراء	٢٦	مكية	٦٩ – ٨٨	٢٠
٤	الأنعام	٦	مكية	٨٤ – ٨٩، ١١٦	١٧
٥	البقرة	٢	مدنية	١٢٤ – ١٣٦	
				١٤٠–٢٥٨–٢٦٠	١٦

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عددها
٦	الذاريات	٥٠	مكية	٢٤ – ٣٧	١٤
٧	العنكبوت	٢٩	مكية	١٦– ٢٧	١٢
٨	مريم	١٩	مكية	٤١–٥٠–٥٨	١١
٩	الحجر	١٥	مكية	٥١ – ٦٠	١٠
١٠	آل عمران	٣	مدنية	٣٣–٣٤–٦٧– ٦٨–٨٤–٩٥ ٩٦ – ٩٧	٨
ب – ١١	هود	١١	مكية	٦٩– ٦٧	٧
١٢	إبراهيم	١٤	مكية	٣٥ – ٤١	٧
١٣	الحج	٢٢	مدنية	٢٦ – ٢٩ – ٤٢ – ٤٣ – ٧٨	٧
١٤	النساء	٤	مدنية	٥٤ – ٥٥ – ١٢٥ – ١٦٣	٤
١٥	النحل	١٦	مكية	١٢٠ – ١٢٣	٤
١٦	الزخرف	٤٣	مكية	٢٦ – ٢٩	٤
جـ – ١٧	ص	٣٨	مكية	٤٥ – ٤٧	٣
١٨	التوبة	٩	مدنية	٧٠ – ١١٤	٢
١٩	يوسف	١٢	مكية	٦ – ٣٨	٢
٢٠	النجم	٥٣	مكية	٣٦ – ٣٧	٢
٢١	الممتحنة	٦٠	مدنية	٤ – ٥	٢
٢٢	الأعلى	٨٧	مكية	١٨ – ١٩	٢
٢٣	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
٢٤	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١

نلاحظ على الجدول السابق ما يلى:

– إن قصة إبراهيم الخليل قد وردتْ فى أربع وعشرين (٢٤) موضعاً فى القرآن الكريم، تشتمل على مائتى آية كريمة.

– عدد المواضع (المكية) سبعة عشر (١٧) موضعا، وعدد آياتها = (١٦٠) مائة وستون آية بنسبة (٨٠٪).

– عدد المواضع (المدنية) سبعة (٧) مواضع، وعدد آياتها = (٤٠) أربعون آية – بنسبة (٢٠ ٪).

– هناك عشرة مواضع مطولة (توضحها المجموعة الأولى أ)، وردتْ فيها أهم أحداث سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام. وهذه المواضع ثمانية منها مكية .. وموضعان مدنيان فحسب.

وهذا يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، وهو أن قصة إبراهيم الخليل قد وردت معظم أحداثها فى أثناء العهد المكى.. كما توضح ذلك بجلاء السور المكية التى أشرنا إليها فى الإحصاء السابق.

– السرّ فى أن قصة الخليل قد وردتْ فى أثناء العهد المكى.. هو أن ربَّنا سبحانه وتعالى أراد أن يُعرِّفَ رسولَه محمدا والذين آمنوا بقصة جده الكريم، ليكون لهم فيها عبرةٌ وأسوة، وأن الرسول قد جاء بما جاء به من كانوا قبله من الرسل.. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾ [الشورى: ١٣].(١)

* * *

(١) شرع: سنَّ – لكم .. يا أمة محمد – يجتبى: يختار ويصطفى.

الآيات القرآنية الكريمة
التى ورد فيها ذكر إبراهيم وقصته

إن تفسير القرآن بالقرآن يعد أفضل مناهج التفسير، وهو أيضًا الوسيلة المثلى لمعرفة المراد الحقيقى من كلام الله سبحانه، المنزل على قلب رسوله الأمين – محمد ﷺ.

وقد أردنا – بفضل من الله وتوفيقه – أن نجمع كل الآيات القرآنية الكريمة، التى ورد فيها ذكر إبراهيم الخليل – عليه السلام – وقصته العطرة، حتى يقرأ من هدى الله قلبه كل الآيات الخاصة بسيدنا إبراهيم فى سياق واحد، لكى تتضح أمامه الصورة كاملة، والحكمة دالة على بيان ما أراد الله ذكره وتوضيحه من خلال هذه القصة.

والهدف السامى الذى نهدف إليه من خلال جمع أجزاء القصة من السور المختلفة ووضعها فى (سياق قرآنى) واحد – هو أن نتعرف على إطار القصة وعناصرها من خلال الآيات الكريمة، فذلك أبين لما أراد ربنا – عز وجل – توضيحه، وأظهر للحكم البالغة التى أراد – سبحانه – ذكرها؛ إذ لا يخفى على الكثيرين أن معظم كتب قصص الأنبياء المتداولة دخلتها بعض زيادات وإضافات عن طريق ما يعرف باسم «الإسرائيليات»، وهى إضافات لا نستطيع أن نكذبها، ولا نقدر على تصديقها. كما أنه ليست لها كبير أهمية فى فهم إطار القصة – كما أراده رب العزة سبحانه وتعالى، لأن الله ذكر ما ذكر لحكمة، وتجاوز عما تجاوز عنه لحكمة أيضًا، لا يعلمها إلا هو. **إن (المسكوت عنه) فى القرآن الكريم مقصودٌ، لذلك ينبغى أن تكون معرفتنا فى إطار ما قدمه الله لنا، لأنه سبحانه** يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ....﴾ [الحشر: ٧].

فالآية الكريمة – هنا – صريحة تدعو المسلمين إلى أخذ ما أمر به الرسول، واجتناب ما نهى عنه – من خلال الوحى المنزل الذى أوحى الله به إليه. وقد ثبت أن الرسول ﷺ قال: **«إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»**(١).

من أجل ذلك سنورد المواضع المختلفة التى ورد فيها ذكر إبراهيم وقصته – لنتعرف عليها من خلال المصدر الأول .. المصدر الأصدق، وهو القرآن الكريم – الذى لا يأتيه

---

(١) تفسير ابن كثير – جـ ٣ – ص ٤٧٣.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

وها هى السور المختلفة مرتبة حسب الكثرة العددية للآيات الكريمة.

أولا: سورة الأنبياء

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٧٣].

* * *

ثانيا: سورة الصافات

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) ﴾

[الصافات : ٨٣ – ١١٣] .

* * *

ثالثًا : سورة الشعراء

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) ﴾ [الشعراء : ٦٩ – ٨٨] .

* * *

رابعًا : سورة الأنعام

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾

[الأنعام : ٨٤ – ٨٩] .

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ [الأنعام: ١٦١].

* * *

خامساً: سورة البقرة

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٣٦].

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* * *

سادسًا: سورة الذاريات

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٣٧) ﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٧]

* * *

سابعاً: سورة العنكبوت

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴾ [العنكبوت: ١٦ - ٢٧].

* * *

ثامناً: سورة مريم

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا

يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) ﴾ [مريم: ٤١ - ٥٠].

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾ [مريم: ٥٨].

* * *

تاسعاً: سورة الحجر

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) ﴾ [الحجر: ٥١ - ٦١].

* * *

عاشراً: سورة آل عمران

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٦، ٦٧].

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾ [آل عمران : ٩٥ - ٩٧] .

* * *

حادى عشر : سورة هود

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) ﴾ [هود : ٦٩ - ٧٦] .

* * *

ثاني عشر : سورة إبراهيم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾ [إبراهيم : ٣٥ - ٤١] .

* * *

ثالث عشر : سورة الحج

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾ [الحج : ٢٦ - ٢٩] .

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) ﴾ [الحج : ٤٢ ، ٤٣] .

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج : ٧٨] .

* * *

رابع عشر : سورة النساء

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) ﴾ [النساء : ٥٤ ، ٥٥] .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾ [النساء : ١٢٥] .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) ﴾ [النساء : ١٦٣] .

* * *

خامس عشر : سورة النحل

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣].

* * *

سادس عشر : سورة الزخرف

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٩].

* * *

سابع عشر : سورة ص

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧].

* * *

ثماني عشر : سورة التوبة

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾ [التوبة: ١١٤].

* * *

تاسع عشر : سورة يوسف

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ [يوسف: ٦].

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) ﴾ [يوسف: ٣٨].

* * *

عشرون: سورة النجم

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) ﴾ [النجم: ٣٧ - ٣٨].

* * *

حادى وعشرون: سورة الممتحنة

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) ﴾ [الممتحنة: ٤ - ٥].

* * *

ثانى وعشرون: سورة الأعلى

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

* * *

ثالث وعشرون: سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) ﴾ [الأحزاب: ٧].

رابع وعشرون:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾ [الشورى: ١٣].

الإطـار.. والمغـزى

إبراهيم الخليل.. أبو الأنبياء جميعا الذين بُعثوا بعده، وله صلة وثيقة بالديانات السماوية كلها: اليهودية والمسيحية والإسلام، لذلك وجدنا قدراً من التوسع والإفاضة فى قصته فى بعض كتب قصص الأنبياء، بل فى بعض كتب التفسير أيضا[1]. وإذا أضفنا إلى ذلك أنه عمر طويلاً، حوالى مائة وسبع وثلاثين سنة[2]. وقيل مائة وخمس وسبعين.. وقيل مائة وتسعين.. وقيل مائتى سنة[3].. والله أعلم.

كما أنه تنقل بين بلاد كثيرة، حيث وُلد وعاش الفترة الأولى من حياته فى بلاد الكلدانيّين (جنوب العراق). وبعد أن أخفق فى هداية قومه رحل إلى مدينة أور، حيث كان يعيش الكلدانيون أيضا (قربَ الشاطىء الغربى لنهر الفُرات فى جنوب العراق). ثم رحل ومعه زوجته سارة وابنُ أخيه لوط وزوجه غربا إلى فلسطين، وكانت تسمى بلاد الكنعانيين فى مدينة «شكيم»، التى تعرف اليوم باسم «نابلس». وإلى هذا تشير الآية (٢٦) من سورة العنكبوت: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)** ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ثم انتقل إلى مصر فى عهد ملوك الرعاة (الهكسوس)، وأقام فيها فترة..[4] ثم

---

(١) راجع على سبيل المثال.
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء.
- أبو إسحاق النيسابورى: عرائس المجالس.
- ابن كثير: قصص الأنبياء.
- ابن كثير: تفسير ابن كثير.
- محمد جاد المولى وآخرون: قصص الأنبياء.
- محمد على الصابونى: صفوة التفاسير.
- أبو محمد بن جرير الطبرى: جامع البيان فى تفسير القرآن.
- القرطبى: تفسير القرطبى.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ١٥٧.

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٨٩.

(٤) يذكر عبد الوهاب النجار.. أنه «حدث جدبٌ فى الأرض، فانتقل إبراهيمُ إلى مصر، وذلك فى عهد ملوك الرعاة، وهم العماليق، ويسميهم الرومان «هكسوس»... قصص الأنبياء، ص ١٢٣.

عـاد هـو وزوجـه إلى فلسطين مـرةً ثانيـة، ومعـهـمـا السـيـدة « هـاجـر » - التى سيـتـزوجـهـا بعـد ذلك بطلب من زوجته سـارة. وبعـد أن تلـد تـخرجُ هى وطفلها بعيـداً، لتستقـر هى وابنهـا إسـمـاعـيل فى وادى مكة المكرَّمة. ولا نعلم على وجه اليقين السرَّ فى خروج سارة وابنها إسماعيل من أرض فلسطين، لتذهب بعيداً إلى وادى مكة. يبدو أن الله قد هيأ الأسباب لتلك الرحلة، حيث غارتْ السيدة سارة من السيدة هاجر، لأنها أنجبتْ ولداً ذكراً، بينما كانتْ هى عجوزاً عقيما. وطلبتْ من زوجها إبراهيم أن يذهبَ بهاجر بعيدا.. فاستجاب الخليل لزوجته سارة التى كانت ابنة عمه أيضا. كل هذا كان من أجل تنفيذ إرادة الله سبحانه.. حتى يقيم هو وابنه قواعد البيت العتيق. والله تعالى أعلم.

خلال تلك الفترة كان إبراهيم ينتقل بين زوجتيه سارة (فى فلسطين.. أم إسحاق) وهاجر (فى الجزيرة العربية.. أم إسماعيل). وكان يدعو إلى عبادة الله، فى كل مكان يحل فيه. وبعد أن كبر أولاده.. وبنى هو وإسماعيل البيتَ الحرام ونشر دعوة الله، حضرته الوفاة فى فلسطين فى مدينة « الخليل » - التى سميت باسمه - حيث دفن فيها.

كل ذلك الصراع من أجل نشر دعوة الحق.. وتلك الرحلات المتواصلة فى بلاد الدنيا القديمة: العراق- فلسطين- مصر- الجزيرة العربية.. بالإضافة إلى طول عمره وعلاقة الديانات السماوية المختلفة به- كل ذلك فتح الباب واسعاً، لتدخل سيرته العطرة بعض الزيادات والإضافات، التى لم ترد فى القرآن الكريم، لذلك سنحاول أن نحدد الإطار العام للقصة -كما وردت فى الذكر الحكيم فحسب. ونشير فقط إلى أن سيرته العطرة فى الكتاب المقدس بها تفاصيل كثيرة.

* * *

إبراهيم يبحث عن الحق

ولد إبراهيم بن آزر، الذى ينتهى نسبه إلى نوح عليه السلام فى منطقة مختلف فى تحديدها جنوبى العراق. وحين بلغ إبراهيم سنَّ الرشد ومرحلة الوعى، رأى قومه يعبدون الأصنام من دون الله -كما كانوا يعبدون -أيضاً- ملكا لهم اسمه « النمروذ ». فلم يطمئن إلى ما كان يعبده قومه من دون الله، لذلك بدأ رحلة البحث عن إله يستحق العبادة، إذ أدرك أن الأصنام التى كانَ يعبدها أهله - ومنهم أبوه - لا تُبصرُ ولا تسمع،

ولا تضر ولا تنفع، بل إنها لا تملك دفع الضر عن نفسها. ومن ثمَّ بدأ إبراهيم بعد أنْ بلغ رشدهَ - بوحي مما هيأه الله له - رحلةَ البحث عن الربِّ الخالق المدبر للكون.

وفى ليلة مظلمة رأى أحد النجوم الكبيرة يضيء ظلام ليل، لم يكن فيه قمر، فظنه الله. لكن النجمَ غابَ بعد قليل.. فلم يطمئن إلى ألوهيته. وفى ليلة أخرى رأى القمرَ مشرقًا يضيء ظلام الليل والكون، فاستبشر به إلى حين، لكنه سرعان ما غاب واختفى أيضا. وتكرر الظن نفسه مع الشمس، حين رآها بازغة منيرة.. غير أنها غابتْ واختفتْ، كما غاب النجم والقمر من قبل. فظلَّ يفكر ويتأمل إلى أن أدرك أن للكون كله خالقًا، يدبر أمره وييسير شئونه. وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة من سورة الأنعام، وهى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩] (١).

ندرك من هذا الموقف الأول الحاسم فى حياة إبراهيم عليه السلام، أن الإنسان ينبغى عليه أن يفكر فيما لا يقتنع به، حتى لو خالف قومه أجمعين بما فيهم أبوه نفسه. فإبراهيم حين رأى قومه يعبدون الأصنام التى يصنعونها بأيديهم، لم يطمئن قلبه إلى ما يفعلون. وظل يفكر ويتأمل فيما حوله إلى أن أضاء نور الإيمان قلبه، فأسلم وجهه لله، واعترف له بالفضل عليه وعلى كل الموجودات، فى الأرض والسماوات. كما ندرك من هذا أيضا أن إبراهيم مثل محمد - عليهما السلام - قضيا فترة تفكير وتأمل وبحث فى أسرار الكون قبل أن يختارهما الله لنشر دعوته. وفترة تفكير إبراهيم فى الإله الذى يستحق العبادةَ، تشبه - إلى حد ما - فترة الانقطاع والتبتل، التى كان يقضيها محمد - ﷺ - فى غار حراء قبل بعثته.

* * *

---

(١) جن: أظلم - أفل: غاب واختفى - بازغا: مشرقا- يهدنى: يوفقنى إلى طريق الهداية - الضال: الذى لا يعرف طريق الحق - فطر: خلق - حنيفا: مؤمنا بالله ومبتعدا عن الكفر.

إبراهيم يدعو قومه إلى الإيمان

بعد أن هدى الله إبراهيمَ إلى طريقِ الإيمان، أراد أن يحمل الدعوة إلى أهله، لأن من يعرف طريق الحق يجب أن يُعرِّفَ غيره به. إن إبراهيم أخذ يفكر فيما حوله إلى أن توصل إلى عبادة الخالق، الذى فطر (خلق) السموات والأرض. ومن ثم توجه إلى دعوة قومه الذين يعبدون الأصنام، وفيهم أبوه (الذى كان واحداً من صناعها وبائعيها . . وربما كان هذا من أسباب عناده وعدم استجابته لدعوة ابنه) .[1] وأخذ إبراهيم يناقشُ قومه بالحكمة والرأى الحسن فى أمر الأصنام التى يعبدونها من دون الله. فقال لأبيه وقومه : ما هذه الأصنام التى تصنعونها بأيديكم، ومع ذلك تستمرون فى عبادتها؟

فردوا عليه بأنهم يفعلون هذا، لأنهم ورثوا هذه العادة عن آبائهم وأجدادهم –دون أن يفكروا فى أمرها . فأخبرهم بأنهم إن ظلوا على هذه الحالة، فسوف يكونون هم وآباؤهم فى كفرٍ واضح، لأن هذه الأصنام لا تستطيع أن تحقق النفع لهم أو لنفسها، كما لا تقدر أن توقف الضر عن نفسها أو عنهم . فسألوه إن كان جاداً فيما يقول، فأخبرهم بأنه جادٌّ، ويدعوهم إلى عبادة الخالق العظيم . لكنهم ظلوا على كفرهم واستمروا فى ضلالهم وزيْغهم .

ولما يئسَ من مجادلة قومه . . ورأى أنهم –بما فيهم أبوه– مصرون على الشرك بالله والعكوف على عبادة الأصنام، انتظر حتى خرج أهلُ المدينة أجمعين، لأن تلك كانت عادة لهم فى إحدى المناسبات الخاصة بهم . فأخذ فأسًا، وبدأ يكسِّر الأصنامَ قطعًا صغيرة، حتى لا يستطيعوا إصلاحها وترميمها، ولكى يثبتَ لهم –بالدليل العملى– أن تلك الأصنام، لو كانتْ تستحقُ العبادة لاستطاعت أن تمنع الأذى عن نفسها . وبعد أن حطم الأصنام كلها، ترك أكبر تمثالٍ منها سليماً، وعلق الفأسَ فى رقبته . وعاد إلى مسكنه مطمئن النفس . لم يفكر إبراهيم فيما يمكن أن يناله من أذى وعذاب، بل كان غاية ما يأملُ هو أن يهدى قومه إلى عبادة الله .

هكذا ينبغى أن تكون حال أصحاب الرسالات، لا تهمهم الراحةُ الشخصية، ولا تشغلُهم أمورُهم الخاصة، وإنما تعنيهم – فى المقام الأول – مصلحة شعبهم وقضية أمتهم، لذلك جادل إبراهيم قومه واختلف معهم . . غير عابىء بأن فى هؤلاء الذين خاصمهم واختلف معهم أباه الذى أنجبه ورعاه، والحاكم المتجبر الذى يمكن أن يُذيقه أشد ألوان العذاب .

---

(١) الثعلبى يذهب إلى أكثر من هذا، ويذكر أن الأب كان يصنع الأصنام، ويطلب من ابنه إبراهيم بيعها . الثعلبى : عرائس المجالس، ص ٧٥ .

بعد أن رجع قومه إلى المدينة، ورأوا ما حدث لأصنامهم، تساءلوا عمن يكون ذلك المرأ، الذى تجرأ وحطم التماثيل التى يعبدونها. فقيل إنه لا يجرؤ على هذا إلا فتى يسمى إبراهيم الذى أعلن كفره بها. فأمر الملك بأن تُعقد له محاكمةٌ أمام الناس أجمعين، حتى يشهدوا محاكمتَه، ويروا عاقبةَ من يخالف عاداتهم، ويبتعد عن عقيدتهم.

فسألوه : أأنت فعلت هذا بآلهتنا التى نعبدها يا إبراهيم؟

فرد عليهم مستهزئا ساخرا بمنطق واضح :

إن الذى حطمها هو الصنم الأكبر، الذى يحملُ الفأسَ، لذلك يجب أن تسألوهم، إن كانوا يتكلمون.

هنا أُسقط فى أيديهم، وعلموا أنهم ظالمون لأنفسهم. لكن الظالم لنفسه -أحيانا- تأخذه العزة بالأثم، ويأبى أن يرجع إلى طريق الحق، حتى لو تبينه بنفسه.

فقالوا له : إنك تعلم أنها لا تتكلم ولا تسمع، فكيف نسألها؟!

فرد عليهم إبراهيم بمنطق سليم، ورأى حكيم : لماذا إذن تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر، وتبتعدون عن عبادة الله الذى خلقكم ورزقكم. أفٍ لكم.. أى ما اسْخفكُم.. كيف تعرفون أنها لا تتكلم ولا تسمعُ، ولا تضرُّ ولا تنفع، ومع ذلك تعبدونها من دون الله؟!

هكذا جعل إبراهيم قومه يعترفون بأنهم لا يتدبرون ولا يفهمون، لأنهم يعبدون ما لا يعقل. **أفضلُ برهانٍ فى النقاش أن تجعل الخصمَ يقرُّ بذنبه، ويعترف بخطئه.** هذا ما فعله إبراهيم، إذ جعلهم يعترفون بأنهم لا يعقلون ولا يعرفون طريق الحق. هكذا أقام عليهم الحجة، وألزمهم بالدليل الصحيح الذى اعترفوا به على أنفسهم. وإلى هذا تشير الآية الكريمة.. **«وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه»**.

الضال -أحيانا- لا يستقيم، حتى لو ألزمته الحجة الناصعة. سأله النمروذ – ملك القوم – الذى كانوا يعبدونه أيضا مع التماثيل والأصنام : إذا لم تكن تعترف بعبادة

الأصنام، فبمن تعترف بالألوهية؟

فرد إبراهيم: إنى أعبد الله ربَّ العالمين.

ثم سَألَه النمروذ: ما أهم صفات هذا الرب الذى تتكلم عنه؟

فقال إبراهيم: إن الله يُحيى ويميت.

قال النمروذ: أنا أحيى وأميتُ مثل ربك، سأحضر رجلْين حُكم عليهما بالموت:

فأقتل واحدًا، فأكون قد أمته، وأعفو عن الآخر، فأكون قد أحييته.

قال إبراهيم فى ثقة المؤمن ووعى المرسل، حتى يسد عليه الطريق ويفحمه بالدليل: إن الله يجعل الشمسَ تأتى من المشرق، فاجعلها تطلع من المغرب.!!

هنا بهت ودهش وصمت عجزًا -النمروذ، الذى كفر، ولم يستطع أن يستمر فى الجدال مع إبراهيم. ومع أن النمروذ عرف طريق الحق، فقد ظل ماضيًا فى كفره، سَادِرًا فى طغيانه.

* * *

بين إبراهيم وأبيه

ثمة موقف آخر أكثر صعوبةً وعُسرًا -من الناحية النفسية.. على الأقل- حدث بين إبراهيم وأبيه، إذ يبدو أن الأنبياء والمرسلين مبتلون بمثل هذه المواقف النفسية والفكرية الصعبة. حدث هذا من قبل مع نوح حين عصاه ابنه وزوجه.. ورفضا أن يدخلا فى دوحة الإيمان، وبالتالى فى سفينة النجاة والخلاص.

مثل ذاك الموقف الصعب نفسه حدث بين إبراهيم وأبيه، الذى أصر على كفره وعبادة الشيطان دون الرحمن. وهذا ابتلاء عظيم من رب العالمين لأولى العزم من رسله، حتى يزدادوا صبرًا، ويمتلئوا هدىً وتقى، لكي يثبتوا للبشر أجمعين:

إن التمسك بالإيمان وعبادة الرحمن، أقوى من التمسك بحب الوالد والولد.. وهما أعز البشر. فالمرء بضعةٌ من أبيه.. كما أن الولد بعضٌ من كله، فالمرء قد يضحى بنفسه وماله وبكل ما يملك من أجل أعز اثنين، يتصلان به ماديًا ومعنويًا اتصالاً حميمًا لافكاكَ

منه، وهما الوالد والولد. هكذا ضحَّى نوحٌ بولده، وهجر إبراهيم أباه من أجل طاعة الله. وذاك هو الحوار الذى دار بينهما -كما ورد فى القرآن الكريم:

قال إبراهيم: يا أبتى [يلاحظ أن الحوار يبدأ بذكر اسم الأب منسوبًا إلى الابن (يا أبتى)، حتى يرقق قلبه، ويذكره بصلة الرحم التى تجمع بينهما. كما أن الأسلوب (أسلوبُ نداء)، الغرض البلاغى منه هو التمنِّى والرجاء، لأن الابن لا يأمر أباه، بل يتوسل إليه، ويرجوه.

يا أبتى.. لماذا تعبد الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر، ولا تفيدك فى شىء؟ ثم يكرر مخاطبته بيا أبتى إننى قد علمتُ ما لم تعلم، وهدانى الله إلى طاعته، وأمرنى أن أدعو الناس إلى عبادته، فاتبعْ ملتى ودينى، حتى تكون من الذين هداهم الله إلى طريق الرشاد.

يا أبتى (للمرة الثالثة) لا تعبد الشيطانَ ولا تمضِ فى طريقه، لأنه عصى الله من قبل، ويحاول أن يُشكِّلَ حزبًا من العصاة، تكون واحداً منهم.

يا أَبتى.. (الرابعة) إنى أخافُ أن يغضبَ الله عليك، فتصبح للرحمن عَصيًّا، وللشيطان وليا.

فسأله الأب فى تحدٍ: هل ترفضُ عبادة آلهتى يا إبراهيم (ولم يقل يا بنى.. كأنَّ الخطاب موجه إلى شخص غريب)؟ وإذا لم تكن تريد أن تعبد آلهتى.. فعلى الأقل يجب ألا تعيبها أو تهينها، فإن لم تكف عن ذلك، فسوف أسبك وأقاطعك وأرجمك بالحجارة.

ثم غضب الأب، وطلبَ منه أن يبتعد عنه زمانًا طويلا، أى أنه طرده وأمره بالانفصال عنه. عزَّ على إبراهيم أن يغضب أبوه، وأن يصر على كفره، وأن يطرده حتى لا يحدث حوار بينهما مرة أخرى. لكن إبراهيم ظل محتفظًا بحسن خلقه ورباطة جأشه، حريصا على احترام والده، وأخبره أنه سوف ينفذ رغبته، وقال: سلام عليك، سأطلب لك العفو والمغفرة من الله، الذى هدانى لعبادته، واختصنى برعايته.

هكذا تصرف إبراهيم الرسول مع أبيه الكافر، تصرف المؤمن الحق، الذى إذا خاطبه الجاهل واستثاره، قال سلام عليك، لن ينالك منى أذى..!! هذه أخلاق عباد الرحمن التى توضحها آية أخرى، هى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) ﴾ [الفرقان : ٦٣] . (١)

بعد أن هجر إبراهيم أباهُ –ظل يطلب له العفو والمغفرة– كما وعده حين قال : « سلام عليك سأستغفر لك ربى . . » وهذا ما تبينه آية كريمة أخرى هى :

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾ [التوبة : ١١٤] .

هذان الموقفان : موقف الحوار مع الأب . . والجدال مع النمروذ – الله أعلم – هل حدثا قبل تحطيم الأصنام أم بعدها . . وهل حدثا أيضا قبل إلقائه فى النار أم بعد ذلك ؟!

وقد سردناهما – هنا – لنبين مدى العذاب المادى والنفسى ، اللذين تحملهما إبراهيم حتى يهدى أهله وقومه .

* * *

يا نار كونى بردًا وسلاما

بعد أن حطم إبراهيم عليه السلام الأصنام ، أبان لقومه أنهم لا يعقلون ، إذ كيف يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر . دحضتْ حجتهم ، فأحسوا الضعفَ والهوان لأنه سخر منهم ، ومن آلهتهم المصنوعة بأيديهم . وبدلاً من أن يؤمنوا بالله ربِّ إبراهيم اتخذوا من المحاكمة التى تدينهم وسيلة لتنفيذ حكم جائر عليه . **هكذا الطغاة فى كل عصر ، يرتكبون الآثام والجرائم ، ويعذبون من يكشف لهم عن خطاياهم** . صدر الحكم الجائر ، إذ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾ [الأنبياء : ٦٨] . (٢)

أخذ الكفار يجمعون الحطب من كل مكان ، وأشعلوا النار فيه من كل ناحية ، ثم قذفوه من مكان عال مقيداً بالحبال ، فظل موقنا بأن الله لن يتخلى عنه . ويقال « إن جبريل استقبله حين أُلقى به فى النار ، فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . قال جبريل فاسألْ ربك . فقال إبراهيم عليه السلام : حسبى من سؤالى ، علمه

---

(١) هونا : تواضعا ولين جانب – الجاهلون : السفهاء – سلاماً : قولا سديداً يسلمون فيه من الإثم .

(٢) حرقوه : احرقوه بالنار . . والتضعيف يفيد المبالغة .

بحالى، حسبى الله ونعم الوكيل. وفى الخبر أن إبراهيم عليه السلام إنما نَجا بقوله: « حسبى الله ونعم الوكيل. ».[1]

يُذكر أن النار ظلتْ مشتعلةً عدة أيام.. وبعد أن خمدت ظهرت المعجزة. النار الحامية لم تحرق سوى حبال القيد الذى أوثق به. أما إبراهيم فإنه خرج سليما نضرا، لم يمسسه سوءٌ، لأن ربَّ العزة إذ أراد شيئًا، فإنما يقول له: كن، فيكون.. ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (70)** ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

هكذا نَجا الله رسوله وأنقذه من مكر الماكرين. وتلك معجزة من معجزات رب العزة – سبحانه – أن يُنجى عباده المؤمنين ويخذل الكافرين. إذ لا يستوى الإيمان والكفر، كما لا يستوى الطيب والخبيث، أو النور والظلمة.

العجيب أن يزداد المؤمن إيمانًا فى هذه الدنيا الدنية، وأن يتمادى الضال فى ضلاله، لأن المؤمن ذو قلب طاهر وعقل مفكر، أما الكافر فإنه يطيع شهواته، ويستسلم لرغباته، وتغره الحياة الدنيا، من هنا يكون عدلا حساب الله موزعا بين الثواب والعقاب. من عمل صالحا فله الرضا والرضوان، ومن أساء فعليه اللعنة والجحيم. فتدبروا يا أولى الألباب!!

* * *

الهجرة إلى الشام .. ومصر

إن أىَّ وطن لا يضيق بأهله، لكن سوء المعاملة تجعلُ البشر يفرون من قضاء الله إلى قدره. وفى هذا يقول المتنبى:

لعمرُك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها ... ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

بعد أن نجا الله خليله ورسوله إبراهيم، آمن به مجموعة قليلة من قومه، منهم سارة ابنة عمه – كما جاء فى معظم كتب القصص[2]، التى تُبالغ فى وصف جمالها .. وقد صارت زوجة له. كما آمن به أيضًا لوط ابن أخيه[3] – وفى بعض رويات أنه ابن أخته[4] – وجماعة أخرى من أهله وقومه.

---

(١) الثعلبى: عرائس المجالس، ص ٧٧.

(٢) الثعلبى: عرائس المجالس، ص ٧٨.

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٤٨.

(٤) شوقى ضيف: الوجيز فى تفسير القرآن الكريم، ص ٥٤١.

ويبدو أن إبراهيم الخليل – أشرفُ خلق الله عند الله بعد محمد عليهما السلام – أوجس خيفة على من آمنُوا معَه، ففكر فى الهجرة إلى بلاد الشام .. وبالتحديد إلى فلسطين، حيث « أقام ومن معه فى « شكيم » وهى مدينة نابلس »[١] .

وإلى هذه الهجرة تشير الآية الكريمة ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ [الأنبياء: ٧١] .

هذا قَدرُ معظم الأنبياء والرسل أن يضطهدهم قومهم، فتضيق بهم بلادهم، وتكون الهجرة طريقَ الخلاص والبحث عن مكان جديد، لنشر الدعوة إلى عبادة الله. حدث هذا مع إبراهيم، وموسى، ومحمد عليهم السلام. إن أرض الله واسعة، لذلك يجب أن يهاجر المؤمن من بلدة إلى أخرى، إذا أحس أنه غيرُ آمنٍ على نفسه أو على دينه أو أهله. وإلى هذا تشيرالآية الكريمة:

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [العنكبوت: ٥٦] .

ثمة آية أخرى تؤكد الفكرة ذاتها .. هى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾ [النساء: ٩٧] .

ويبدو أن إبراهيم أقام فى منطقة جنوب فلسطين هو ومن آمن معه .. بينما أقام لوط فى مدينة تسمى « سدوم »، تقع قرب منطقة تعرف اليوم باسم « إريحا » غربى البحر الميت، وكان أهلها فجارا كفارا، حاول لوط أن يدعوهم إلى عبادة الله والبعد عن الخطايا، فلم يستجيبوا، فأهلكهم الله بكفرهم وفساد أخلاقهم.

وقد أقام إبراهيم فى جنوب فلسطين، وأخذ يدعو إلى عبادة الله فترة من الزمان – الله أعلم بعدتها. ثم رحل إلى مصر بسبب القحط والفقر.

ثمة تفاصيل كثيرة تُروَى –نقلا عن التوراة – عما حدث له فى فلسطين ومصر فى هذهالفترة، لن نذكرها، وإنما نكتفى بذكر أنه أقام فى مصر مدة – لا يعلمها إلا الله – ثم عاد إلى فلسطين ومعه خير كثير.. وجارية تسمى هاجر. وظل يدعو إلى عبادة الله فى فلسطين، وكانت زوجه عاقراً لا تلد. وقد بشرتها الملائكة بغلام عليم فى أثناء توجهها

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ١٢٣.

لعقاب قوم لوط . . ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) ﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٦]. (١)

* * *

ميلاد إسماعيل والرحلة إلى وادى مكة

أراد ربنا – رب العالمين – أن يكافئ رسوله الخليلَ إبراهيم على ما تحمل من عذاب ومشقة وألم فى سبيل الدعوة إلى عبادته فى كل مكان يحل به، لهذا وهبه ذرية صالحة، فالمال والبنون زينة الحياة. . لكن المعجزة الإلهية مع إبراهيمَ، تتمثل – هنا – فى أمرين:

الأول: إن كان كبيراً فى السن، ورغم ذلك رزقه الله بالبنين من زوجيه: الصغرى هاجر أم إسماعيل . . والكبرى العاقر أم إسحاق.

الثانى: إن الله جعل فى ذريته النبوة والكتب السماوية، فكل من أرسل بكتاب منزل، كانَ من حفدة إبراهيم عليه السلام، لذلك يسمى – بحق – أبو الأنبياء.

بنى إبراهيم بهاجر ودخل بها. ويبدو أن ذلك كان برضى من سارة التى أدركتْ أنها لن تلد، لأنها عجوز عاقر. بعد مدة حملت هاجر وأنجبت إسماعيل عليه السلام، ثم قرر إبراهيم أن يبعد أم إسماعيل عن سارة . . **فهل حدث ذلك حتى لا يؤذى مشاعرها، ويدخل الحزن على قلبها . . أم أن الغيرة اشتعلت فى صدرها، وطلبت هى منه أن يبعدها . . ؟!**

لقد أراد الله سبحانه – فقط – أن يهيئ الأسبابَ . . ويجعل ذريةَ إبراهيم تعمرُ بقاع الأرض. كما يجب أن ندرك أن هذه الرحلة كانت سبباً فى **نشأة مكة وإعادة بناء الكعبة**. أراد الله . . وما شاء فعل. هكذا يجزى الله عباده المؤمنين، ويبارك فيهم وفى ذرياتهم. فتدبروا يا أصحابَ العقول، وسيروا فى طريق الحق، يوفقكم الله، ويبارك فى أهلكم وذرياتكم فى الدنيا والآخرة.

---

(١) نبئهم: أخبرهم يا محمد – ضيف: لفظ يطلق على المفرد والجمع . . المقصود أضياف إبراهيم من الملائكة – وجلون: خائفون . . وجل: صيغة مبالغة وصفة مشبهة باسم الفاعل – قانط: يائس . . اسم فاعل.

رحل إبراهيم بهاجر وإسماعيل بعيداً عن بيت المقدس إلى وادى مكة. هكذا جعل الله كل مكان حل فيه إبراهيم حرمًا آمنا. كانت أرض الحجاز قبل أن ينزل بها إبراهيم وآل بيته واديا غير ذى ماء ولازرع.. ففجر بئر زمزم، وبدأ كثير من الناس يفدون إلى حيث الماء، وبدّ لهم الله من بعد خوفهم أمنا.

ترك إبراهيم أهله فى مكة، وهو آمن مطمئن. وعاد إلى زوجته سارة التى حملت بعد ذلك، وأنجبت له طفلا هو: إسحاقُ عليه السلام. وتحققت البشرى وقرتْ عينُ سارة، لأن المعجزة قد تمت، ورزقها الله بما بشرتها الملائكة به. رجل عجوز قارب المائة سنة.. وامرأة عاقر تجاوزت الثمانين.. لكن اللهرزقهما ذرية صالحة مباركة. إنها معجزة.. ومنة من الله - الذى لا تحصى عطاياه - لإبراهيم، الذى تحمل العذاب، لكى يبلغ رسالة ربه.. وعطية لسارة،التى صبرتْ ورضيتْ بقضاء الله - الذى حرمها من الإنجاب إلى حين. هكذا يعطى الله المؤمنين والصابرين، إنه هو الحكيم العليم الوهاب، الذى يعطى من يشاء بغير حساب.

* * *

الفداء.. وبناء البيت الحرام

ظل إبراهيم فترة يتنقل بين أسْرتيْه فى الشام والجزيرة العربية. وبعد أن شب إسماعيل عن الطوق، صار صبيا فتيا، يملأ عين أب طال حرمانه من عاطفة الأبوه، ويحرك شغاف قلبه، وتأنس إليه نفسه. فى تلك المرحلة التى تعلق فيه الأب المحروم بولده البكر - رأى رؤيا غريبة.. إن الله يأمره بذبح فلذة كبده. فماذا يصنع.. وإن طاوعه قلبه، فهل يوافق على هذا ولده؟ إن إبراهيم نفسه عصى والده، ولم يقبل أن يشاركه فى عبادة الأصنام.. **فهل يقدر ابنه على ما لم يقدر عليه أبوه؟ شتان بين رغبة الأبوين: لقد خالف إبراهيم أباه، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. بينما وافق إسماعيل، لأن هذا أمر من الله له ولوالده. وعلى الإنسان دائمًا أن يقبل كل ما يأمر الله به، لأنه يعلم ما لا نعلم،ويوجهنا لما فيه صلاح الدنيا وخير الآخرة. إن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع شتى من الأوامر والتكاليف، فيظهر الفرقُ جليا بين المطيع المؤمن والعاصى الكافر. هنا يكون الثواب والعقاب قضاء عادلا.** وَيُعلّقُ الحافظ ابن كثير على هذا بقوله:

« وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله فى أن يذبح هذا الولد العزيز، الذى جاءه على

كِبر، وقد طعن فى السنّ بعدما أمر بأن يسكنه هو وأمه فى بلاد قفْرٍ، ووادٍ ليس به حَسيسٌ ولا أنيس، ولا زرع ولا ضرع. فامتثل لأمر الله فى ذلك. وتركها هناك ثقة بالله وتوكلاً عليه. فجعل الله لهما فرجًا ومخرجًا، ورزقهما من حيث لا يحتسبان»[1].

والآيات التى تصور ذلك فى سورة «الصافات» هى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧].

لقد استجاب إبراهيم لما رأى فى المنام، لأن **رؤيا الأنبياء وحى صادق** - وليستْ أضغاث أحلام.

كذلك قبل إسماعيلُ أن يُنفِّذَ أبوه أمر الله فيه. وحينما أطاعا الأمر، فدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وجاءه جبريل حاملاً كبشا من الغنم. منذ تلك اللحظة وإسماعيل.. وكل من سمى باسمه، يكنى عنه باسم **«أبو الفداء»**، لأنه قبل أن يضحى بنفسه - والجود بالنفس أقصى غاية الجود - من أجل مرضاة الله. وحين أطاع فداه الله وأنقذه بكبش سمين. **وقد صار هذا اليوم - فيما بعد - موسمًا للمسلمين، يحتفلون به كل عام.. وهو «عيد الأضحى» المبارك.**

* * *

جاء إبراهيم - بعد أن كبر ولده إسماعيل وصار رجلا - وحيٌ من السماء يأمره ببناء الكعبة. واختيارُ هذا المكان - فى مكة المكرمة - كان وحيا منزلا من عند الله، فأخذ إبراهيم يرفع القواعد من البيت الحرام بمساعدة ولده إسماعيل، ووضع فيه الحجر الأسود المقدس. وهناك روايات تروى أن آدم هبط به من الجنة.. أو أن جبريل جاء به إلى إبراهيم. **المهم أن تلك الروايات المختلفة لها دلالة واحدةٌ، هى قدسية ذلك الحجر الأسود الموجود بالكعبة إلى اليوم، وتقبيله إحدى شعائر الحج والعُمرة والزيارة.**

إبراهيم الخليل إذن هو بانى الكعبة بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام . وثمة

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٦١.

روايات أخرى تذكر أنه جدد البناء وأعاد تشييده. وإلى هذا الحدث العظيم - حدث بناء الكعبة - تشير بعض الآيات الكريمة، ومنها:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]. (١)

هكذا يكون إبراهيم مؤسس أول بيت يعبد فيه الله على الأرض. ولا يزال هذا البيت الحرام معمورًا بذكر الله وعبادته منذ رفعت قواعده إلى اليوم:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقد جعل الله الكعبة بيتا طاهرًا للعبادة، وحصنا شريفًا للأمان.. وأوجب على كل قادر الحج والعُمرة، والزيارة، تكريمًا لإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) ﴾ [البقرة: ١٢٥]. (٢)

وبعد أن أكمل إبراهيم رسالته ببناء البيت الحرام، عاد إلى فلسطين، حيث مات، ودفن في مدينة الخليل - بعد عمرٍ لا يعلمه إلا الله.

* * *

---

(١) القواعد: ج قاعدة، وهي الأساس الذي يبنى ويرفع عليه البناء - البيت: البيت الحرام - مسلمين: خاضعين لطاعتك - مناسك: ج منسك وهو موضع العبادة (اسم مكان) -الذرية: الأبناء والأحفاد - أمة: جماعة.

(٢) مثابة: مجمعًا ومرجعا للحجاج والمعتمرين والمقيمين والزائرين - أمنا: آمنا، لا يتعرض أحد بسوء لمن يدخله - مقام إبراهيم: مكان بجوار الكعبة.. ويجوز أن يكون المسجد الحرام كله - مُصلى: موضع للصلاة.. (اسم مكان)) - طهّر بيتي من الأصنام والرجس - الطائف: الوافد أوْ الزائر - العاكف: المقيم - الركع السجود: جمع راكع وساجد.

تعقيب

تلك باختصار شديد – أهم عناصر قصة إبراهيم الخليل – كما وردتْ فى الذكر الحكيم. وقد أوردتْ معظم كتب قصص الأنبياء تفاصيل كثيرة فى أثناء سرد قصته، لم نشأ – قَاصِدين – أن نتعرضَ لها .. لأنها – فى مجملها – تؤكد مكانةَ هذا الرسول الكريم السامية، وكيف أن الله أعطاه من صفات الخير وعلامات الفضل،ما لم يخصَّ به غيره من الرسل والأنبياء، لذلك يقول الله – سبحانه وتعالى – عنه:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

وإبراهيم كان أمة بمعنى أنه كان مَعْلما لكل صفات الخير، وإماما فى توحيد ربه.. وكان فى الفضائل وعمل الخير أُمةً، أى جماعة كبيرة، لأنه وفىٌّ وفاء كاملا كل ما أمرَ الخالقُ به.. وكان شاكرا لأنعم الله، لذلك اختاره وهداه إلى طريق الحق والخير.

* * *

ومرة أُخرى تصفُه الآياتُ الكريمةُ بهذا الوصف: **﴿ ... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾** [التوبة: ١١٤].

فالأواه: هو الذى يكثر التأوه والندم على ما فعل، أو كثير الدعاء والاستغفار أملا فى رحمة الله – أو الحليم: الذى يضبط نفسه فلا يرتكب المعاصى.

« هذا هو إبراهيم خليل الرحمن، والناجى من النيران، ومقدم القربان، ومشيد البنيان، ومكرم الضيفان، وأول من يُكسى فى الجنان. قال ﷺ: « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهْما، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن »[١].

« ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل أولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –أُمر المصلى أن يقول فى تشهده، ما ثبت فى الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره، قال – قلنا يا رسول الله: هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد »[٢].

---

(١) أبو إسحاق النيسابورى: عرائس المجالس، ص ٩٩.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٨٥.

تلك أهم معالم السيرة العطرة لإبراهيم الخليل، الذى كان أمة؛ أى جماعة فى العبادة والتقوى، وإمامًا فى الحق ومعلما لطرق الخير.. ووفىَّ كل ما أمره الله به، فاجتمعتْ فيه كل خلال الخير وآيات البر. هذا فضل الله يُؤتيه من يشاء، إذ ليس على الله بمستنكر أن أن يجعل إبراهيم خليله، ويشرفه بأن يكون أباً للأنبياء من بعده.

* * *

إبراهيم – الذى توقره كل الديانات السماوية، لأنه أبو الأنبياء جميعًا – ليس يهوديًا ولا نصرانيًا، بل إمام كل الأنبياء، والمبشر بكل الرسالات، لذلك يقول عنه رب العزة.. ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].

إذن .. لم الاختلاف حول الأنبياء.. وهم ليسوا إلا رسلا مكرمين، مختارين ليبلغوا رسالة الله إلى البشر. إن كل الديانات السماوية ذاتُ مصدر واحد.. وتدعو إلى أمر واحد .. هو عبادةُ إله واحد.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) ﴾ [آل عمران: ٦٤ – ٦٦].

* * *

تلك كانتْ أهمُّ عناصر القصة العطرة لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – وقد حاولنا أن نبرزها من خلال الآيات الكريمة التى وردت فى الذكر الحكيم، واستبعدنا الكثير مما ورد فى بعض كتب قصص الأنبياء، لأننا نقصد إلى تقديم السيرة من خلال القرآن الكريم فحسب. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف المرسلين، وسلام على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد.. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.. وارضنا وارض عنا يا أرحم الراحمين!!

الفصل الثالث

موسى .. كليمُ الله



قصة موسى .. كليم الله

ثلاث شُعبٍ متجاورة

الحديث عن قصة سيدنا موسى – عليه السلام .. كما وردت فى سور القرآن الكريم – ليس بالأمر السهل، لأنه حديث طويل متشعب، إذ أنه يفضى بالضروة إلى قصص فرعية متنوعة، وأخبارمتفرقة مبثوثة فى أماكن مختلفة من آيات الذكر الحكيم .إن الحديث عن قصة موسى يمضى فى ثلاث شعب، ويسير فى ثلاثةِ موضوعات كبرى، هى :

أولا : قصص كثيرة وأخبار متنوعة حول شعب (بنى إسرائيل) وعاداتهم وطبائعهم قبل بعثة موسى رسولا إليهم وإلى غيرهم من الشعوب، بالإضافة إلى أنباءِ متفرقة عن صفاتهم وأخلاقهم بصفة عامة قبل بعثة موسى وبعدها وفى أثنائها، وهى أخبار تبين بعض ما هم عليه من حب الجدل والرغبة فى المحاجة وتسويف العهد والنفاق .. وقد وردت أنباءُ بنى إسرائيل هذه فى كثير من سور القرآن الكريم منها : سورة البقرة، والمائدة، والأعراف، والإسراء، ومريم، وطه، والشعراء، والنمل، والسجدة ،وغافر، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والصف . وهذا يدل على أن القرآن الكريم أراد أن يوضح للبشرية عامة – والمسلمين خاصة – خصال بنى إسرائيل، وذلك مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) ﴾ [النمل : ٧٦] .

الحديثُ عن هذه الشعبة من القصص حديث ذو شجون، يطول شرحه، وليست له – فى رأينا – علاقة وثيقة بقصة موسى عليه السلام – التى هى الموضوع الرئيس فى هذا الكتاب – لأن بعض تلك الآيات الكريمة، تتصل بعادات بنى إسرائيل وأخلاقهم قبل بعثة موسى – رسولاً – وبعدها .

ونكتفى من ذلك بمثال واحد – مما وردَ فى سورة البقرة – هو :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)

وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٩ - ٤٨].

يذكر «ابن كثير» فى معرض تفسيرهذه الآيات الكريمة - باختصار - ما يلى:

«يأمر الله تعالى بنى إسرائيل بالدخول فى الإسلام، ومتابعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ومهيجًا لهم بذكر أبيهم (إسرائيل)..وهو يعقوب عليه السلام.

وتقديره: يا بنى العبد الصالح المطيع لله - كونوا مثل أبيكم فى متابعة الحق.. (ومن) نعمة الله عليهم أن فجر لهم (من) الحجر (ماءً)، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم من عبودية فرعون، وجعل منهم الأنبياء والرسل والملوك، وأوفوا بعهدى للنبى (محمد) - ﷺ - أرضَ عنكم وأدخلكم الجنة، واخشونى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات.. وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم، يعنى القرآن.. الذى أنزل على محمد مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل. ولا تكونوا أول كافر من بنى إسرائيل بالقرآن وبمحمد، فإن يهود المدينة أول بنى إسرائيل (الذين) خوطبوا بالقرآن. وأنهم لا ينبغى أن يشتروا بآيات الله (أى الكتاب الذى أنزل إليهم ..وهو التوراة) ثمنًا قليلا... هو متاع الدنيا وشهواتها. كما ينهى الله اليهودَ أيضًا عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل، وتمويهه به، وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل. فنهاهم عن الشيئينْ معًا. كما يأمرهم الله بالصلاة والزكاة والركوع مع الراكعين من أمة محمد.وكيف يليق بكم يا أهل الكتاب وأنتم تامرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم، فلا تَأْتمرون بما تامرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتب وتعلمون ما فيه على من قصَّر فى أوامر الله.. ألا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنبهوا من رقدتكم، وتبصروا من عمايتكم»[1].

(١) ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابونى-على نفقة حسن الشربتلى - ط دار القرآن الكريم - بيروت - جـ ١ - ص ٥٨- ٥٩ .

فهذه الآيات الكريمة وردتْ فى سياق سورة «البقرة». وكما هو معروف فإنها سورة (مدنية)، أنزلت على الرسول بعد الهجرة إلى المدينة (يثرب). وكان يعيش فيها بعض اليهود، وقد علموا أن رسولاً سيبعث فى هذه البلاد -كما بشرتهم بذلك التوراة، فظلوا هناك ينتظرون مجيئه،وينظرون ماهو فاعل معهم. وحين جاءهم الرسول بما لا تهوى أنفسهم، جادلوه وكفروا به. وقدأراد سبحانه أن يوضح لرسوله – من خلال سورة البقرة – مدى تعنتِ اليهود ونفاقهم وسوء أخلاقهم، حتى يأخذ حذره منهم، ويصبر عليهم، بعد أن تعلمه الآيات الكريمة أن ما يفعلون معه، قد صنعوه بأنبيائهم ورسُلهم من قبلُ. وحول هذا الرأى يذكر بعض العلماء:

«إن القصة التى أمر فيها موسى قومه بذبح البقرة، لم يكن الغرضُ منها الإتيانَ بكل ما اشتملت عليه، واندرج فيها من الحالات والأحكام، بل الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد – ﷺ – نموذجًا مما بلغ إليه تعنتُ بنى إسرائيل فى إبطائهم عن امتثال أمر الله، ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به، دون استيفاء القصة استيفاءً كاملاً، يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة، بل هو يقصُّ علينا نمطاً من تعنتهم وصلابة أعناقهم»(١).

معنى ذلك أن قصة البقرة، قد ساقها الله سبحانه وتعالى، لبيان مدى تعسف بنى إسرائيل ومماطلتهم فى التعامل حتى مع الرسل والأنبياء. والأمثلة على ذلك كثيرة فى القرآن الكريم، ولكن ليس هنا مجال لذكرها الآن.

بناء على هذا.. فسوف نستبعدُ من عرضنا لقصة موسى – عليه السلام – بعض الآياتِ والقصص الواردة فى القرآن الكريم، و التى تدل على عادات اليهود وأخلاقهم بصفة عامة. ونقتصر هنا – فقط – على ما له علاقة مباشرة بقصة ذلك الرسول الكريم – موسى بن عمران – عليه سلام الله ورحمته.

* * *

ثانيًا: قصص تتصل بسير بعض الأنبياء والصالحين، الذين (عاصرهم موسى)، وتعامل معهم فى مرحلة من مراحل حياته الطويلة – (تذكر بعض الروايات أنه عاش حوالى مائة

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط دارالكتب العلمية – بيروت – سنة ١٩٨٦ – ص ٣٥٥.

وعشرين سنة تقريبًا . . والله أعلم)[1] .

ومن أهم الشخصيات التى تعامل معها موسى أو عاصرها :

١ - **آسيا زوجة فرعون** : التى كفلتْ موسى - وهو فى المهد صبيًا - وصدَّقتْ برسالته فيما بعد . وقد ورد ذكرها فى سورة « التحريم » فى مجال الموازنة بينها وبين السيدة مريم ابنة عمران . وهذا يدل على ما لها من مكانة سامية، تقترب من مكانة أم عيسى عليْهما السلام .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) ﴾ [التحريم : ١١][2] .

٢ - **أم هارون وموسى . . زوجة عمران** : وهى التى حملتْ وليدها موسى - طفلا، وأرضعته وتعهدت تربيته،حتى نجا بفضل الله من كيد فرعون وملئه، وصار رسولاً نبيا . فدور هذه الأم الصالحة - أيضًا -كبير وذو أهمية خاصة فى حياة موسى .

٣ - **هارون بن عمران** : شقيق موسى الأكبر، ووزيره الذى كان يعاونه فى الدعوة، ويخلفه فى هداية بنى إسرئيل عند غيابه . وهناك أنباء كثيرة وردت عنه فى سياق الحديث عن قصة موسى . وقد طلب موسى نفسه من رب العزة أن يجعل هاورن وزيرًا له - حين أمره أن يصدع بدعوة فرعون وقومه قائلاً : ﴿ هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾ [طه : ٣٠ - ٣٢][3] .

ومعنى هذا أن هاورن قد اشترك مع أخيه موسى فى تحمل أعباء الدعوة، وهداية بنى إسرائيل . كما أن أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم من ذريته .

٤ - **مصرى مؤمن** : آمن بموسى حين كفر به فرعون، واعترض على محاولة إيذائه أوقتله من فرعون وجنوده .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ

---

(١) النيسابورى : قصص الأنبياء ، ص ٢٥٠ .

(٢) تراجع أيضًا سورة القصص - الآية (٢٨) .

(٣) تراجع الآيات (٤٢ - ٤٦) من السورة نفسها .

اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾ [غافر: ٢٨][١].

يبدو – والله أعلم – أن هذا الرجل هوالذى دافع عنه، ونصحه بالخروج من مصر بعد أن قتل موسى مصريًا من أجل واحد من بنى إسرائيل. وقد ورد ذكره في سورة القصص .. ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)** ﴾ [القصص: ٢٠].

وأبو إسحق النيسابورى المعروف بالثعلبى – المتوفى سنة ٤٢٧هـ – يذكر أن اسمه « حزقيل » .. « ويروى عن النبى ﷺ أنه قال:

« سُبَّاقُ الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب يس، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة – وهو أفضلهم »[٢].

٥ – **النبى شعيب .. أو الرجل الصالح**: الذى لقيه موسى – فى أرض مدْين – بعد هربه من مصر، وتزوج إحدى ابنتيه، وأقام عنده عشر سنوات يرعى أغنامه. ويبدو أن هذه الفترة كانت فترة الإعداد للنبوة والتأهل لحمل الرسالة. يقول الرسول محمد – ﷺ – فى حديث معناه: « مامن نبى إلا رعى الغنم »، لأن رعى الغنم يساعد على التأمل والتفكير فى قدرة الخالق وعظمة الإله وأمر الكون ومصير البشر وأحوال الكائنات.

ويبدو أن شعيبًا عليه السلام (**أو الرجل الصالح**)، قدأعجب بموسى، من حيث الأمانة وحسن الخلق، لذلك فإنه هو الذى طلب منه زواج إحدى ابنتيه .. حين « ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)** ﴾ [القصص: ٢٧].[٣]

معنى ذلك أن شعيبا هو الخاطب لإحْدى ابنتيْه من موسى .. حباً فيه، وإعجاباً به،

---

(١) تراجع الآيات من (٢٧ – ٣٣) – سورة غافر.

(٢) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبي: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، ط دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٩٨٥، ص ١٧٣. الحديث المذكور فيه قدرٌ من الشك، إذ يبدو أنه موضوع لبيان علوّ منزلة الإمام على.

(٣) أُنكحك: أزوّجك – تأجرنى ثمانى حجج: ترعى أغنامى ثمانى سنوات – أشقّ عليك: أحملك تعباً فوق طاقتك.

وتقديرا له، لذلك ترك له حرية الاختيار. وهذا أمر صعب بالنسبة لأى أب. ولكن ذلك كان سهلاً على شعيب.. الأب النبى، فاتقوا الله.. ويعلمكم الله.

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل: «أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أكملهما وأفضلهما». وروى أيضًا أنه قال: «قضى أوفاهما، وتزوج بصغراهما»(١).

أى صغرى بنات شعيب(٢).

هذا هو الرجل الصالح الذى كان يسكن أرض مدين(٣).. وهى تقع فى الشمال الغربى للجزيرة العربية.. وجنوب شرق الأردن بالقرب من خليج العقبة – وقد أقام عنده موسى عشر سنوات.. لكننا لن نتعرض لقصته – أيضًا – لأنها تحتاج إلى حديث خاص.

٦ – **العبد الصالح (الخضر)**: قال «ابن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه. فأوحى الله إليه: أن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ياموسى. قال موسى: يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتًا، فتجعله فى مكتل، فحيثما فقدتَ الحوتَ، فهو ثمَّ....»(٤).

---

(١) النيسابورى: عرائس المجالس، ص ١٧٥.

(٢) يذكر النيْسابورى أن صهر موسى هو شعيْب.. وإنْ أشار إلى قدر من الشك فى ذلك.. (عرائس المجالس، ص ١٧٥) أما ابن كثير فيذكر فى قصص الأنبياء: «وقد اختلفوا فى هذا الشيخ من هو؟ فقيل هو شعيب عليه السلام. وهذا هو المشهور عند كثيرين. وممن نصّ عليه الحسن البصرى ومالك بن أنس، وجاء مصرحًا به فى حديث (نبوى شريف)، ولكن فى إسناده نظر.
وروى ابن أبى حاتم وغيره عن الحسن البصرى: إن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب.. ولكن ليس بالنبى صاحب مدْين. وقيل إنه ابن أخى شعيب. وقيل ابن عمه. وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب اسمه «يثرون». هكذا كتبَ أهلُ الكتاب: يثرون كاهن مدين، أىْ كبيرها وعالمها.
وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله: اسمه يثرون. زاد أبو عبيدة: وهو ابن أخى شعيب. وزاد ابن عباس: صاحب مدين» – قصص الأنبياء، ص ٣٠٧.
وقد أخذ شوقى ضيف بالرأى الذى ينفى كونه شعيبًا، ويرى أن اسمه يثرون فى «الوجيز فى تفسير القرآن الكريم»، حيث ذكر. «قيل كانت المرأتان ابنتى شعيْب، وقيل بل ابنتىْ رجل مؤمن من مدين، وقيل بل ابنتى يثرون كاهن مدين، كما ورد فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج بالتوراة» ص ٦٣٨.. والله تعالى أعلم.

(٣) ﴿فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى﴾ سورة القصص – الآية (٤٠).

(٤) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٤٠.

ويبدو أن الله قد أراد أن يبين لرسوله موسى فى آخر حياته، أنه لم يؤت من العلم إلا قليلا، حتى لايغتر بما أتاه الله من فضله . فأراد – جلت قدرته، وتسامت حكمته – أن يوضح له أن فوق كل ذى علم عليما أعرف منه . وقد وردت إشارة إلى هذا العبد الصالح المعروف بالخضر(*) فى « سورةالكهف » . . . ومما ورد فيها قوله تعالى :

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف : ٦٥](١) .

* * *

تلك أهم الشخصيات المؤمنة . . التى عاصرت سيدنا موسى عليه السلام. وقد آثرنا ألا نتوقف عندها الآن، لأن كل واحدة منها تحتاجُ إلى حديث خاص(٢) .

هاتان شُعبتان مختلفتان ترد أنباء عن بعض عناصر إحداهما . .أو كلتيْهما عند الحديث عن قصة موسى عليه السلام، لكن الاستجابة لمثل تلك الاستطرادات الجانبية، تحتاج إلى كتب وأسفار، وذلك ما يجعل القصة فضفاضة، دونما كبير حاجة إلى مثل هذه الزيادة – فى إطار دراسة منهجية مثل دراستنا .

نتيجة لهذا الفهم فى التفسير والتاريخ، آثرنا أن يقتصر الحديث على الشعبة (الثالثة) . . الخاصة بـ (قصة موسى) عليه السلام. مع إشارة سريعة لبعض ما يرد فى أثنائها من أنباء فرعية . . وأخبار ثانوية،حتى تكتمل عناصر القصة – كما وردت فى الذكر الحكيم .

* * *

(*) رواية أخرى تذكر أن العبد الصالح هو ذو القرنيْن . والله أعلم .

(١) تراجع الآيات (٦٠ – ٨٢) من سورة الكهف .

(٢) من أهم الشخصيات غير المؤمنة التى عاصرها موسى **شخصية السامرى** – الذى أغوى بنى إسرائيل وأعادهم إلى عبادة العجل . وكذلك **شخصية قارون** . . الغنى البخيل الذى اغتر بماله . . وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم .

موسى[1] بن عمران – ينتهى نسبه إلى إسحق بن إبراهيم عليهم سلام الله ورضوانه.

وهو نبى الله المختار . . ورسوله المصطفى . . ونجيه المجتبى. وهو مثل جده إبراهيم نشر رسالته فى أماكن مختلفة، وتنقل هو وقومه – أيضًا – فى أماكن كثيرة : مصر – سيناء – فلسطين. كما تحمل – مثله – ألوانًا من الصلف والعذاب من القوم الذين أرسل إليهم. ومن يقرأ الكتب المقدسة جميعها: التوراة والإنجيل والقرآن . . يدرك – وبالقسوة ما يدرك – أن أبناء إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى، عنيدون مفترون حتى على الرسل والأنبياء – الذين أرسلوا منهم . . وإليهم – وهذا واضح من نص الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)** ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. [2]

وقد ظلت تلك حالهم من الادعاء والافتراء والمحاجة والعناد حتى فى سنى موسى الأخيرة، إذ هم دائمًا يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير، لذلك فإنهم يستحقون عذاب الله، الذى قال عنهم ﴿ .... **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)** ﴾ [البقرة: ٦١] من أجل هذا فإن بعض كتب الدين والتاريخ تصف اليهود –وهى على حق– بأنهم «قتلة الأنبياء» . . !![3]

شتان بين موسى الذى آتاه الرب الكتاب والنبوة، وكلم الله تكليما بوحى أو من وراء حجاب – حين ناداه قائلاً: ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**

---

(١) موسى: كلمة فرعونية قديمة . . معناها الوليد . . أو الطفل المولود، لكن اليهود يزعمون أنها عبرية بمعنى: المنتشل من الماء.

(٢) الذين آذوا موسى . . بعض سفهاء بنى إسرائيل – وكان موسى عند الله وجيها . . أى حظيا ذا قدر، لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه.

(٣) ضُربت عليهم: كُتبتْ وحلّتْ على بنى إسرائيل – باءوا: عادوا ورجعوا.

(١٤) ... ﴾ [طـه: ١٢ - ١٤](١) - وبين سفهاء قومه وأراذلهم الذين يؤذون خلق الله، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا - كما سيتضح من خلال عرض أحداث القصة فيما بعد.

* * *

يأخذ موسى أهمية خاصة فى تاريخ الأديان السماوية، لأن التوراة التى أنزلت عليه لا تزال موجودة بشكل محرف، وأبناء شعبه لا يزالون باقين إلى اليوم.. ولم يختلفوا كثيرا - بشكل أو بآخر - عما كان عليه حال أجدادهم فى عهد موسى.

رحم الله موسى عليه السلام.. وجزى شعب بنى إسرائيل - الذين يدَّعون أنهم شعب الله المختار - على ما صنعوا فى حق أنبيائهم وأنبياء غيرهم.. وفى حق البشرية جمعاء، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون.

سوف نورد - فى البداية - قبل عرض أحداث القصة:

أ - المواضع التى وردت فيها قصة موسى فى القرآن الكريم مرتبة بحسب ترتيب السور.

ب - النسبة بين ما هو مكى.. وما هومدنى من الآيات الكريمةودلالة ذلك.

جـ - السور والآيات، التى تتصل بقصة سيدنا موسى مرتبة بحسب الكثرة العددية للآيات، بحيث نبدأ بأكثرها، وننتهى بأقلها عدداً.. وعند تساوى عدد الآيات نراعى ترتيب السور الكريمة فى المصحف الشريف.

وهذه طريقة موضوعية جديدة فى شرح قصص القرآن الكريم، ألهمنا الله إياها.. وهدانا إليها بفضل منه وإحسان من لدنه.

* * *

(١) طوى: اسم الوادى المقدس، وهو مكان بارض سيناء، لذلك تعرب بدلاً.

مواضع ذكر موسى وقصته فى القرآن الكريم

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	الآيات	عـددهـا
١	البقرة	٢	مدنية	٤٧ – ٧٤	٢٨
				٨٧	١
				٩٢ – ٩٣	٢
				١٠٧	١
				١٣٦	١ = ٣٣
٢	آل عمران	٣	مدنية	٨٤	١
٣	النساء	٤	مدنية	١٥٣ – ١٥٤	٢
				١٦٤	١ = ٣
٤	المائدة	٥	مدنية	٢٠ – ٢٦	٧
٥	الأنعام	٦	مكية	٨٤،٩١	١
				١٥٤	١ = ٣
٦	الأعراف	٧	مكية	١٠٣ – ١٥٦	٥٤
				١٥٩ –١٦٦	٧ = ٦١
٧	يونس	١٠	مكية	٧٥ – ٩٣	٢٣
٨	هود	١١	مكية	٩٦– ٩٧	٢
				١١٠	١ = ٣
٩	إبراهيم	١٤	مكية	٥ – ٩	٥
١٠	الإسراء	١٧	مكية	٢	١
				١٠١ – ١٠٤	٤ = ٥
١١	الكهف	١٨	مكية	٦٠ – ٨٢	٢٣

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	الآيات	عـددهـا
١٢	مريم	١٩	مكية	٥١ – ٥٣	٣
١٣	طـه	٢٠	مكية	٩ – ٩٨	٩٠
١٤	المؤمنون	٢٣	مكية	٤٥ – ٤٩	٥
١٥	الفرقان	٢٥	مكية	٣٥ –٣٦	٢
١٦	الشعراء	٢٦	مكية	١٠ – ٦٨	٥٩
١٧	النمل	٢٧	مكية	٧ – ١٤	٨
١٨	القصص	٢٨	مكية	١ – ٤٤	٤٤
١٩	العنكبوت	٢٩	مكية	٣٩	١
٢٠	السجدة	٣٢	مكية	٢٣ – ٢٤	٢
٢١	الصافات	٣٧	مكية	١١٤ – ١٢٢	١٣
٢٢	غافر	٤٠	مكية	٢٣ – ٣٠	٨
				٣٦ – ٤٦	١١ = ١٩
٢٣	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١
٢٤	الزخرف	٤٣	مكية	٤٦ – ٥٦	١١
٢٥	الدخان	٤٤	مكية	١٧ – ٣٣	١٧
٢٦	الأحقاف	٤٦	مكية	١٢	١
٢٧	الذاريات	٥١	مكية	٣٨ – ٤٠	٣
٢٨	النجم	٥٣	مكية	٣٦	١
٢٩	الصف	٦١	مدنية	٥	١
٣٠	النازعات	٧٩	مكية	١٥ – ٢٦	١٢
٣٠	—	—	—	—	٤٦٢ – آية

نلاحظ من خلال هذا الثبت أن قصة موسى - دون أن ندخل فى الاعتبار ما نحيناه جانبًا، لأنه لا يتصل بها اتصالاً مباشرًا.. كما أوضحنا من قبل - قد شغلت حيزًا أوسع بالنسبة لعدد الآيات والسور الخاصة بقصتىْ نوح وإبراهيم .. عليهم جميعًا السلام - كما يتضح من الجدول التالى :

مسلسل	القصة	عدد السور	عدد الآيات
١	نوح	٢٨	١٢٩
٢	إبراهيم	٢٤	٢٠٠
٣	موسى	٣٠	٤٦٢

كثرة عدد الآيات والمواضع، التى تتصل بقصة موسى عليه السلام - يمكن أن توضح الدرجة الرفيعة، التى حباها الله سبحانه لذلك الرسول الكريم، وبالتالى تؤكد المكانة السامية، التى يشغلهافى الإسلام وعند المسلمين.. كما تدل على ذلك آياتُ الذكر الحكيم.

* * *

نسبة الآيات المدنية والمكية

مسلسل	عدد الآيات	نوعها	النسبة
١	٤٩	مدنية	٤٦ر٩٪
٢	٤١٣	مكية	٥٤ر٩٠٪
-	٤٦٢	المجموع	١٠٠٪

يلاحظ من خلال هذه النسبة الإحصائية:

١ - **إن حوالى (٩٠٪) -تقريبا- من عناصر قصة موسى عليه السلام، قد وردت فى سور (العهد المكى)** وآياته، ويمكن أن يعلل ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من أن المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية، كان الرسول ﷺ والذين آمنوا معه فيها فى حاجة ماسة إلى قصص الرسل والأنبياء والصالحين، حتى يصبروا على إيذاء الكافرين، ويعرفوا أن ما يحدث لهم قد حدث لرسل وأمم قبلهم، وأن الله سبحانه وتعالى ينصر دائما رسله، ويُنجى عباده المؤمنين. ذلك ما تؤكده الآية الكريمة:
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ (٣٦) ﴾ [النحل: ٣٦].(١)

* * *

٢ - إن القرآن الكريم حين يقص على الناس أنباء السابقين وحكايات الأولين -التى لم يكن يعرفها الرسول وقومه، فإن ذلك يؤكد أن النبى ﷺ رسولٌ مختارٌ، وأن ما يأتى به القرآن من أنباء الغيب وأخبار من سبقهم، **برهانٌ ساطعٌ على أنه معجزةٌ**، وأنه تنزيلٌ من رب العالمين الذى يُدعونَ إلى عبادته. هذا ما توضحه الآية الكريمة:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾ [هود: ٤٩].

* * *

(١) الطاغوت: كل ما يعبد من دون الله - حقّت: وجبتْ- الضلالة: الغواية والبعد عن طريق الحق.

٣ – إن السور المدنية تشتمل على آيات محدودة بالنسبة لقصة موسى –باستثناء سورة البقرة التى تشتمل على (٣٣) آية وبعض آيات أُخر خاصة ببعض عادات اليهود وأخلاقهم. والسبب فى هذا –فيما يبدو .. والله أعلمُ – أن اليهودَ كانوا موجودين فى يثربَ، التى هاجر إليها الرسول والمسلمون، وقد أراد الله أن يوضح لرسوله مدى تعنت اليهود وتسويفهم، حتى يوضح له وللمسلمين ولليهود أنفسهم، أن ما يقومون به من ضلالٍ ونفاقٍ وعنادٍ، قد فعلوه من قبل مع رسولهم موسى عليه السلام. فهم قومٌ لا يحافظون على ميثاق، لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. . . .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾ [البقرة: ٨٧].

لقد أراد رب العزة –سبحانه وتعالى– أن يكشف لليهود ما هم فيه من ضلالٍ وكفر.. حتى يتبينوا بعض ما خفى من آثامهم، ويعرف الرسول والمسلمون عاقبة مكرهم، لأن المكر السيىء لا يحيق إلا بأهله. من أجل ذلك –وغيره مما الله به أعلم– اهتمت سورة البقرة.. وهى سورة (مدنية) بالحديث عن بعض أفعال اليهود وعاداتهم وطبائعهم حتى مع أنبيائهم، لكىْ يأخذ الرسول والمسلمون الحذر منهم.

* * *

٤ – كان يهود يثرب وخيبر أبصر خصوم محمدٍ بمصير دعوته، ومع ذلك فقد ظلوا أحرص الناس على معاداته وتأليب العرب عليه. وقد تحير بعضُ أهل قريش فى أمر محمد ودعوته، خاصة وأنهم رأوه يكسب كل يوم مزيداً من الأنصار، وتجذب دعوته كثيراً من الأخيار، فسألوهم: « يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالت اليهود: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) ﴾** [النساء: ٥١، ٥٢].

« فى موقف اليهود هذا من قريش وتفضيلهم وثنيتهم على توحيد محمد، يقول

الدكتور إسرائيل ولفنسون فى كتابه - **تاريخ اليهود فى بلاد العرب**: «كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأنَّ عبادة الأصنام أفضل من عبادة التوحيد الإسلامى، ولو أدى الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم، لأن بنى إسرائيلَ، الذين كانوا مدة قرون حاملى راية التوحيد فى العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نكبوا بنكباتٍ لا تُحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد فى عصور شتى من الأدوار التاريخيِّة، كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين. هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام، إنما كانوا يحاربون أنفسهم، ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام، والوقوف معهم موقف الخصومة»[1].

من أجل ذلك عنى القرآن الكريم ببيان أحوال اليهود وأنبائهم .. زجرًا لهم من ناحية، وتحذيرًا للمسلمين من ناحية أخرى.

* * *

---

(١) محمد حسين هيكل: حياة محمد. ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٤ هـ - ص ٣٢٠.

ترتيب السور الكريمة
التى ورد فيها ذكر موسى وقصته

مسلسل	اسم السورة	عدد الآيات
أ – ١	طه	٩٠
٢	الأعراف	٦١
٣	الشعراء	٥٩
٤	القصص	٣٨
٥	البقرة	٣٣
٦	يونس	٢٣
٧	الكهف	٢٣
٨	غافر	١٩
٩	الدخان	١٧
ب – ١٠	الصافات	١٣
١١	النازعات	١٢
١٢	الزخرف	١١
١٣	النمل	٨
١٤	المائدة	٧
١٥	إبراهيم	٥
١٦	الإسراء	٥
١٧	المؤمنون	٥

مسلسل	اسم السورة	عدد الآيات
ج – ١٨	النساء	٣
١٩	الذاريات	٣
٢٠	الأنعام	٣
٢١	هود	٣
٢٢	مريم	٢
٢٣	الفرقان	٢
٢٤	السجدة	٢
٢٥	آل عمران	١
٢٦	العنكبوت	١
٢٧	الشورى	١
٢٨	الأحقاف	١
٢٩	النجم	١
٣٠	الصف	١

* * *

السور والآيات الكريمة
التى ورد فيها ذكر موسى وقصته

نقدم – فيما يلى – السور والآيات الكريمة، التى تشتمل عليها المواضع القرآنية.. مرتبة ترتيبا تنازليًا.. بحسب العدد الكلى للآيات فى السور المختلفة سواء أكانت مكية أم مدنية. ثم نورد بعد ذلك نص الآيات الكريمة، حتى نجمع –فى سياق واحد– كل ما أورده الله سبحانه فى مجال قصة موسى، حتى نظهر بصورة شمولية كل ما يتصل بعناصر بناء القصة – كما وردت فى القرآن الكريم. أو بمعنى آخر يظهر وجهٌ من وجوه (إعجاز القرآن). **إن الله – جلت قدرته – لم يشأ أن يقدم قصص الرسل والأنبياء دفعةً واحدة**، بل إنه أيضا كان يقدر – لو شاء – أن ينزل القرآن جملةً واحدة على قلب نبيه الأمين. **لكنه أراد –ولاراد لمشيئته– أن ينزل القرآن منجما.. حسب مقتضى الحال والمناسبات المختلفة، التى تطرأ للرسول والمسلمين، ذلك أن القرآن الكريم لم يُوح به الله سبحانه مرة واحدة.. كذلك لم تنزل قصص الرسل والأنبياء دفعة واحدة. وفى هذا التجزىء والتفصيل، والشرح بعد الإيجاز، والإيجاز بعد البسط، تأكيدٌ لبعض المعانى السامية، التى يريد المولى سبحانه أن يوضحها لعباده من خلال تلك القصص.**

كما أن تجزىء القصص يعد ملمحًا من ملامح التشويق.. وعنصرا من عناصر الجذب نحو التفكير فى الأهداف النبيلة، التى من أجلها ساق الله تلك القصص الواعظة، والأمثال الزاجرة. فى هذا وغيره وجه مشرق من وجوه (إعجاز القرآن) الكريم.. **﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ... ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٤].**

فالقرآن – الذى أنزل بهذه الكيفية (المنجمة) والحالة المجزءة – معجزٌ بكل ما يحمل من معان، وما يتشكل به من أساليب، لذلك يتحدى الله الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورةٍ من مثله. **﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء: ٨٨]**

إن الله جعل معجزة كل رسول مما نبغ فيه قومه.. وإذا كان قوم موسى قد نبغوا فى

(السحر)، فقد جعل الله فى عصا موسى مجالاً للسحر، لدرجة أن السحرة أنفسهم سلموا بقدرة الله فى عصا موسى، ومن ثم أسلموا لله على يديه، وآمنوا برسالته دون أن يأذن لهم فرعون، وهذا ما توضحه الآيات الكريمة :

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ . . . . . (٧١) ﴾ [طه : ٧٠، ٧١] .

أما العرب فقد كانوا أرباب فصاحة وبلاغة، لأنهم (أمةٌ شاعرة)، تجيد فنون القول، ويأتى الأدب فى مقدمة إنجازات حضارتهم ودرةً إبداع مخيلتهم . . لذلك كانت معجزة الرسول محمد -ﷺ- الأولى . . هى القرآن الكريم، لذلك تحداهم فى مجال عبقريتهم وتفوقهم، وهو القدرة على تأليف الكلام البليغ، وطلب أن يؤلفوا مجرد سورة -سورة واحدة، تشبهه فى البلاغة والإعجاز . وهذا ما توضحه الآيات الكريمة من سورة البقرة :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ [البقرة : ٢٣، ٢٤] .

وقد عجز كل الذين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورةٍ من مثله، كما ضاقتْ صدور بعض الكافرين عن أن تتسع لنور الإيمان وهدى القرآن- رغم أنه تنزيل من رب العالمين .

معنى هذا العجز عن الإتيانِ بسورة واحدة – تشبه أيًا من سور القرآن المائة والأربع عشرة (١١٤) – أن القرآن الكريم معجز بأصوات مفرداته . . وتراكيب ألفاظه . . وتنسيق سُوره، لذلك . . **﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . . . . .(٢١) ﴾** [الحشر : ٢١] .

* * *

السور التى ورد فيها ذكر موسى

أولاً : سورة طه

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ

﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا
لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ
نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾
فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ
لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ
أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ
مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا
آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا
تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ
مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ
وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَىٰ

أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ [طه : ٩ – ٩٨].

* * *

ثانياً : الأعراف

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ

أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ
وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا
مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
(١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
(١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا
بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن
آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ
وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا
مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ
اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) وَوَاعَدْنَا
مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي

فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ
أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ
(١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ
الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ
قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي
الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن
يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا
ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ
سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى
الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٥٦].

* * *

﴿ ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلىٰ موسىٰ إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوىٰ كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠) وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين (١٦١) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلىٰ ربكم ولعلهم يتقون (١٦٤) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١٦٦) ﴾ [الأعراف: ١٥٩ - ١٦٦].

* * *

ثالثاً: سورة الشعراء

﴿ وإذ نادىٰ ربك موسىٰ أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١) قال رب إني أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلىٰ هرون (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (١٤) قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون (١٥) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل (٢٢) قال فرعون وما رب العالمين (٢٣) قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨) قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أو لو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقىٰ عصاه

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠ - ٦٨].

* * *

رابعاً: سورة القصص

﴿ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا

تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) ﴾ [القصص: ١ - ٤٤].

* * *

خامساً: سورة البقرة

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(٥٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ
فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا
مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ
الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ
اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ
بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ
لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾ [البقرة: ٤٧ – ٧٤].

* * *

سادساً: يونس

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) ﴾ [يونس: ٧٥ – ٩٣].

* * *

سابعاً: سورة الكهف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢].

* * *

ثامناً: سورة غافر

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا

كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) ﴾ [غافر: ٢٣ - ٣٠].

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ [غافر: ٣٦ - ٤٦].

* * *

تاسعاً: سورة الدخان

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ

﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الدخان: ١٧ - ٣٣].

* * *

عاشراً: سورة الصافات

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٤ - ١٢٢].

* * *

حادى عشر: سورة النازعات

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

* * *

ثانى عشر: سورة الزخرف

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا

وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ (٥٦) ﴾ [الزخرف: ٤٦ - ٥٦].

* * *

ثالث عشر: سورة النمل

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾ [النمل: ٧ - ١٤].

* * *

رابع عشر: سورة المائدة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦].

* * *

خامس عشر: سورة إبراهيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ

آل فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥ – ٩].

* * *

سادس عشر: سورة الإسراء

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٠ – ١٠٤].

* * *

سابع عشر: سورة المؤمنون

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٥ – ٤٩].

* * *

ثماني عشر: سورة النساء

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ

الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) ﴾ [النساء: ١٥٣، ١٥٤].

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

* * *

تاسع عشر: سورة الذاريات

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) ﴾ [الذاريات: ٣٨ - ٤٠].

* * *

عشرون: سورة الأنعام

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) ﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

* * *

واحد وعشرون: سورة هود

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) ﴾ [هود : ١١٠].

* * *

اثنان وعشرون : سورة مريم

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) ﴾ [مريم : ٥١ - ٥٣].

* * *

ثلاث وعشرون : سورة الفرقان

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) ﴾ [الفرقان : ٣٥، ٣٦].

* * *

أربع وعشرون : سورة السجدة

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة: ٢٣، ٢٤].

* * *

خمس وعشرون : سورة آل عمران

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ﴾ [آل عمران : ٨٤].

* * *

ست وعشرون : سورة العنكبوت

﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) ﴾ [العنكبوت : ٣٩].

* * *

سبع وعشرون: سورة الشورى

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾ [الشورى: ١٣].

* * *

ثمان وعشرون: سورة الأحقاف

﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) ﴾ [الأحقاف: ١٢].

* * *

تسع وعشرون: سورة النجم

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) ﴾ [النجم: ٣٦].

* * *

ثلاثون: سورة الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ [الصف: ٥].

* * *

الإطـار . . والمغـزى

إن قصـة مـوسى عليـه السـلام تعـد واحـدة من أهـم قـصص الأنبـياء –التى وردت فى القرآن الكريم، لأنها تتكون من أحداث مختلفة ومواقفَ متعددة وحكم متنوعة. لكننا سوف نتوقف فقط عند أهم الخطوط الرئيسة الكبرى، التى تشكل أهم عناصر بناء قصته من خلال آيات الذكر الحكيم، ليكون فيها عبرةٌ لأولى الألباب، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. . وعلى الله قَصْدُ السبيل.

يؤكد المعانى السابقة التى ذكرناها بالنسبة لقصة موسى – عليه السلام – أن المولى عز وجل بعد أن يذكر بعض العناصر منها فى سورة «طه» . . يختمها بقوله: ﴿ **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)** ﴾ [طه: ٩٩، ١٠٠].

فقصة موسى ترد – مثل غيرها – فى القرآن، لتكون سبيلاً للهداية، وطريقاً للإيمان بالله ورسوله وكتابه. وسوف نحاول أن نقدم عرضا موجزا لها فيما يلى:

مولد موسى ونجاته من القتل

وفد يعقوبُ وأبناؤه إلى مصر، واستقروا بها بعد أن صار يوسف الصديق وزيرا لملكِ مصر، بعد أن صدق تفسيره للحلم، الذى رأى فيه سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات. والقرآن يشير إلى ذلك بقوله عز من قائل:

﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩)** ﴾ [يوسف: ٩٩].

لكن أبناء يعقوب. . أو (بنى إسرائيل) –كما سماهم القرآن – دخلوا مصر آمنين، لكنهم – فيما يبدو – لم يحسنوا الإقامة، ولم يردوا الجميل، لذلك عزلهم الفراعنة عن أبناء مصر، وصاروا مواطنين من الدرجة الثانية.

وما ظلمهم المصريون. . لكن كانوا هم أنفسهم يظلمون، بعد أن صاروا جالية كبيرة العدد، بالغة الإساءة، شديدة المكر، واسعة الحيلة. يذكر النيسابورى: «إن بنى إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصى، ووافق خيارُهم أشرارهم، ولم

يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، فسلط الله عليهم القبط (المصريين) فاستضعفوهم، وساموهم سوء العذاب، فذبحوا أبناءهم.. قال أبو إلياس قال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعين ألف ولد»(١).

التساؤل الأول – الذي يرد مع بدء الحديث عن قصة موسى عليه السلام.. ولم يقدم له القرآن الكريم إجابة صريحة – لسبب لا يعلمه إلا الله، هو:

هل كان فرعون مصر يقتل الأبناء الذكور من بني إسرائيل، لأن الكهنة والعرافين أخبروه أنه سيخرج من صلبهم ولد، يكون موته على يديه.. أم أن الفراعنة كان يميلون إلى قتل أطفال بني إسرائيل الموجودين في مصر بسبب نفاقهم وسوء معاملتهم؟! ثمة سبب ثالث مؤداه أن زيادة النسل كانت كبيرة في بني إسرائيل، لدرجة أن الفراعنة خشوا أن يزيد عددهم عن عدد المصريين، لذلك كان حكام مصر يقتلون أبناء سنة، ويعتقون أبناء سنة أخرى. الدليل على هذا أن هارونَ الأخ الأكبر لموسى، لم يتعرض لما تعرض له أخوه الأصغر موسى.

هل ثمة رأي من هذه الآراء يرجحُ الآخر، أم أن الأسباب الثلاثة مجتمعة هي السر في طلب فرعون قتل الطفل موسى؟! علم ذلك عند الله.. فالحقيقة واحدة، وإن تنوعت الأسباب –التي لا تعنينا في شيء، لأن الله– لم يشأ أن يظهرها، وإنما أراد فقط أن يبين لنا أنه إذا أراد شيئاً، فلا راد لقضائه. لقد قتل فرعون الأطفال الذكور، الذين ولدوا في السنة التي ولد فيها موسى الرسول المنتظر، لكن الطفل الوحيد –مصدر الخطر– نجا بفضل الله وعنايته. وهذا معنى يؤكده قول الشاعر:

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها ... نمْ، فالمخاوفُ كلُّهن أمانُ

الآيات الكريمة التي تصور نجاة موسى عليه السلام –وهو في المهد صبيًّا– من فرعون، وردت في أكثر من سورة، منها ما جاء في «سورة طه»: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ (٤٠)**﴾ [طه: ٣٧ – ٤٠].

ثمة آياتٌ أخر تصور نجاة موسى من القتل وعودته إلى أمه في «سورة القصص»، وهي

(١) أبو إسحق النيسابوري: عرائس المجالس، ص١٦٩.

قوله عز من قائل: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [القصص: ٧ - ١٣].

إنها لإحدى العبر أن يفسر القرآنُ بعضُه بعضا، وأن يكمل بعضُه بعضا. فالآيات الكريمة فى سورتى «طه .. والقصص» تعبران عن موقف واحد، ولكن ثمة قدر يسير من الاختلاف فى التفاصيل، والتنوع فى طريقة التعبير. فآيات سورة «القصص» تقدم وصفا جليلا لما حدث لموسى الرضيع بعد الولادة، وموقف الأم والأخت، ثم موقف فرعون وزوجه، ونجاة موسى من بطش فرعون وهامان، ليكون مصدراً للعداوة والحزن، لأن نهاية فرعون ستكون بالغرق والموت جزاءَ ما فعل، إذ ادَّعَى الألوهية، وفرق الناس إلى شيع وأحزاب، واستضعف طائفةً بنى إسرائيل، يقتل ذكورهم، ويستبقى بناتهم. من أجل ذلك وغيره نجىَّ الله موسى، لينعم على المستضعفين فى الأرض، ويبدل ذلهم عزا، وخوفهم أمنا، وعبوديتهم سيادة.

هذا بينما تعبر آيات «سورة طه» عما منَّ به الله -سبحانه- على موسى، وكيف نجاه من بطش فرعون، وتلك نعمة تضاف إلى نعم الله عليه، الذى يجب أن يؤمن به، ويدعو الناس إلى عبادته.

* * *

وجه الإعجاز فى هذه الآيات الكريمة، يتمثل فى عدة أمور -نذكر بعضها.. والله أعلم بمجملها:

الأول: إن الله جل شأنه أراد أن يعرف الرسول محمدا ﷺ والمؤمنين بقصة موسى - عليه السلام - التى لم يكونوا يعرفونها، فأطلعهم الله على تاريخ من مضوا من الرسل والكافرين، ليكون فى قصصهم عبرة لمن أراد معرفة الحق الواضح، الذى تقدمه

آيات القرآن الكريم.

على هذا تبدأ السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾ [القصص: ١، ٢] معنى ذلك أن من علامات إعجاز القرآن الكريم ما يقصه من أنباء الأمم السابقة، لأن **الإخبار بالغيب إحدى سمات الإعجاز القرآني**.

الثاني: طريقة النظم المعجز - «والنظم» .. كما يعرفه عبد القاهر الجرجاني:

«وجملة الحديث أنا لا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاما من غير رويَّةٍ وفكر، فإن كان راوي الشعر ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته، فينبغي أن لا يتأتى له رواية شعره إلا برويَّةٍ، وإلا بأن ينظر في جميع ما نظر فيه الشاعر من أمر النظم. وهذا ما لا يبقى معه موضع لعذر الشاك.

هذا وسبب دخول الشبهة على من دخلت عليه، أنه لما رأى المعاني لا تتجلى للسامع إلا من الألفاظ. وكان لا يوقف على الأمور التي بتوخيها يكون (النظم) إلا بأن ينظر إلى الألفاظ مرتبة على الأنحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس. وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ، فيقال: «قد نظم ألفاظا فأحسن نظمها، وألف كلماً فأجاد تأليفها»، جعل الألفاظ الأصل في النظم، وجعله يتوخى فيها أنفسها، وترك أن يفكر في الذي بيناه من أن النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم، وأن توخيها في متون الألفاظ محال...»[1].

لقد سبق عبد القاهر الجرجاني علماء الأسلوبية المعاصرة، الذين يرون أن شعرية الأدب تتحققُ من خلال (السياق) أو (النسق) الأسلوبي، الذي يؤلف به الأديب أدبه، أما الجرجاني فقد أدرك في القرن الخامس الهجري.. أن بلاغة الأدب تتحقق من خلال (النظم)، إذ لا مزية للألفاظ في حد ذاتها.. أو للمعاني وحدها، وإنما يتحق جمال التعبير من خلال تآلف أجزاء الجمل مع دلائل المعاني. وأنه يستحيل أن يكون جمال التعبير سببه اللفظ أو المعنى منفصلين، وإنما يتحقق ذلك من خلال التآلف الوثيق بينهما. واستقر رأيه على أن الإعجاز يتشكل من خلال تَوخِّي انسجام قواعد النحو مع معاني الكلام.. بهذا النسق وحده يكون الكلام بليغا.

ولا ريب في أنَّ بلاغة القرآن المعجزة وصياغته العظيمة، هي التي أوحت للجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بهذه النظرة الأسلوبية -التي سبق بها عصره.

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز - تحقيق محمود شاكر، ط الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٦١.

نعود إلى الآيات الكريمة التى ذكرنا أنها تقدم الموقفَ الأول من حياة موسى ونجاته من كيد فرعون وبطشه، وتصور تصويرا رائعا تفاصيل ما حدث من أم موسى وأخته.. ومن فرعون وزوجه. وقد جاءت الآيات الكريمة الدالة على هذا الموقف معجزة النظم جليلة النسق، فهى معجزة من حيث بنية الألفاظ، وتركيب الجمل، ودلالة المعانى. إنها -مثل كل آيات الذكر الحكيم- **معجزة من كل زاوية، وبليغة من كل منظور**. ولما كانت أسرار إعجاز القرآن لا تحصى، وقضايا بلاغته لا تُستقصى -اعترفنا للقرآن الكريم بالفضْلِ والكمال، لعلمنا بالقصور والتواضع، ثم قلنا فى ضراعة العبد المنيب: سبحانك ربنا وتعاليت، ما أعجزنا نحن البشرَ عن أن نُحدد أسرار الإعجاز فى قُرآنكَ الكريم، الذى أنزلته على نبيك العظيم. ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ (١٢٥)** ﴾ [**الأنعام**: ١٢٥].

يعقد الإمام جلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ) فى كتابه «الإتقان فى علوم القرآن»، فصلاً مطولا عن وجوه إعجاز القرآن المختلفة، ويشرح كل وجه منها شرحا مفصلا، ويذكر صاحبه. ومن تلك الآراء رأى القاضى عياض (ت ٥٤٤) وهو: «اعلم أن القرآن مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه:

أولها: حسنُ تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، الذين هم فرسان الكلام وأربابُ هذا الشأن.

الثانى: صورةُ نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالفُ لأساليب كلام العرب، ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاء عليه، ووقفتْ عليه مقاطعُ آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته. ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له..

الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيباتِ وما لم يكن، فوجد كما ورد.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة(١)، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحْبار أهل الكتاب، الذى قطع عمره فى تعلم ذلك - فيورده (الرسول) ﷺ على وجهه، ويأتى به على نصه، وهو أميٌّ لا يقرأ، ولا يكتب...»(٢).

* * *

---

(١) الداثرة: المندثرة - المنتهية.

(٢) جلال الدين السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط دار التراث- القاهرة -د.ت- جـ ٤، ص ١٦.

الخروج من مصر إلى أرض مدين

أول نعمة يمن بها الله سبحانه وتعالى على موسى أن نجاه من الموت -وهو فى المهد صبيا - وأعاده إلى أمه لترضعه بعد أن عاف كل المراضع. فأصبح موسى ابنا لفرعون بالتبنى.. وصارت له أمان: الأولى أمه الحقيقية - التى تنكرت فى شخصية ظئر(١) ترضعه، والثانية زوجة الفرعون التى شغفها حبا وحنانا منذ طالعت محياه، وطلبت من فرعون ألا يقتله قائلة: ﴿ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** (٩) ﴾ [القصص: ٩].

بعد أن كبر الطفل عاش فترة من الزمان فى قصر فرعون، وتربَّى تربية أبناء الملوك، فدرس العلم، وتدرَّب على الفروسية. وهذه التربية البلاطية إعداد مادى وتأهيل ثقافى لمرتبة النبوة، التى اختاره رب العزة للقيام بها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

يبدو أن موسى عليه السلام قد أدرك منذ وقت مبكر -صراحةً أو ضمنا- أنه (عبرانى) عن طريق أمه التى أرضعته، لذلك فإنه حين خرج -وهو فى بداية عهد بالشباب- يمشى فى شوارع المدينة وجد رجلا مصريا، يريد أن يأخذ رجلا عبرانيا، ليسخره فى بعض أعماله، فرفض العبرانى وطلب معاونة موسى. ويبدو أيضا أن الحوار بينهما تحول إلى معركة، فتدخل موسى لنصرة العبرانى ووكز المصرى - أى ضربه بكف مضمومة الأصابع - فقتل على إثر هذه الضربة. فندم موسى على ما فعل، وتضرع إلى الله، لكى يتوب عليه، ولا يجعله نصيراً لأهل الشر.

بعد هذا وجد موسى العبرانى الذى نصره يتعارك مع مصرى آخر، فهم بقتله، لكن المصرى ذكر له، أنه يريد قتله -كما قتل مصريا آخر بالأمس. هنا أدرك موسى أن السر قد أذيع، فآب عن رغبته فى البطش، وفكر فى الهرب من مصر، حين أخبره رجل طيب بأن القوم يبحثون عنه، ليأخذوا ثأر القتيل. فخرج من المدينة خائفا يتلفت، حتى يعرف هل هناك من يتبعه أو لا. ومضى فى طريقه راجياً ربه أن ينقذه من القوم الظالمين.

ظل موسى يسير إلى أن وصل أرض مدين، وهى تقع فى شرق خليج العقبة - شمالى الحجاز وجنوب شرق الأردن، لأن موسى - عليه السلام .. فيما يبدو - أراد أن يفرَّ إلى منطقة نائية، حتى يكون بعيداً عن بطش فرعون وجنوده.

---

(١) ظئر: مرضعة.

بعد أن وصل موسى إلى أرض مَدْيَنَ . . جلس يستريح تحت ظل شجرة- قرب عين ماء، كان مجموعة من الرعاة يسقون أنعامهم منها، وفيهم فتاتان تقفان بعيدا بأغنامهما انتظارا لدورهم الأخير فى السقى بسبب ضعفهما وقلة حيلتهما، لأن الأقوياء هم الذين يردون الماء فى البداية. أشفق موسى على الفتاتين الضعيفتين، فقام وساعدهما فى سقى أغنامهما، ثم عاد مرة ثانية إلى ظل الشجرة. وما لبث أن جاءته إحداهما تمشى، وتسعى على استحياء قائلة: إن أباها يريد أن يكافئه على ما صنع. فلما رآه الرجل العجوز اطمأن قلبه إليه، وطلب منه أن يرعى أنعامه ثمانى سنوات نظير أن يكفله ويزوجه ابنته. وقد تزوج موسى إحدى ابنتى هذا الرجل، حيث رغب الرجل نفسه فى ذلك، بعد أن أعجب بأمانة موسى وعفته.

تلك هى المنة (الثانية) التى أنعم بها الله على موسى- عليه السلام - بعد نجاته من القتل وهو طفل صغير

وبعض المفسرين مختلفون: هل الرجل الصالح الذى صاهره موسى هو النبى شعيب أم رجل طيب من قوم شعيب..[1]؟ المعروف والشائع أنه شعيب نفسه.. وهناك حديث يروى عن الرسول ﷺ يؤكد هذا الرأى المعروف ويدعمه، وهو قوله: «أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا فى موسى فأصابتا: إحداهما امرأة فرعون حين قالت: قرة عين لى ولك لا تقتلوه، والأخرى بنت شعيب حيث قالت: يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القوى الأمين»[2].

ومن الأسئلة التى يطرحها بعضُ المفسرين أيضا: هل قضى موسى فى أرض مدين ثمانى سنوات أم عشرا..؟ - استنادا إلى الآيات الكريمة:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)﴾ [القصص: ٢٦ - ٢٨].

ثم يفرعون عن هذا السؤال سؤالاً آخر، هو: هل تزوج موسى الابنة الصغرى أم الكبرى؟ ثمة حديث شريف آخر يسند للرسول ﷺ يجيب عن السؤالين ما معناه:

---

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء،، ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) أبو إسحق النيسابورى: عرائس المجالس، ص ١٧٥.

«روى أنه قال: قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما»(١).

بيد أن التساؤل الأهم من وجهة نظرنا فى هذا الصدد هو: **ماذا فعل موسى خلال تلك السنين العشر، التى قضاها فى أرض مدين - مصاحبا للرجل الصالح؟ وهل كان يرعى الغنم فحسب؟!**

فى تقديرنا أن الله سبحانه وتعالى هيأ له تلك الفترة التى سبقتْ بعثته مباشرة، لكى يتعلم الحكمة والهداية من هذا الرجل الصالح. كما أن رعْى الأغنام كان يعطيه فرصة كبيرة للتأمل والتفكير فى مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، وفى أمر الكون المنظم الذى أحسن الله خلقه ومسيرته. وهذا قريب مما سوف يحدث لرسول الله محمد ﷺ، الذى رعى الغنم قبل زواجه من السيدة خديجة. فكلا الرسولين - عليهما السلام - ساعدتهما فترة الرعى على التدبر فى أمر الله وفى خلق السماوات والأرض. وقد أهلتهما هذه الفترة للإيمان بالله والاستعداد لحمل الرسالة وتبليغ دعوة الحق. وهذا رأى مستلهم من معنى الآية لكريمة: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)** ﴾ [**البقرة**: ١٦٤].

وهذا يدل على أن ليس ثمة تعارض بين العقل والشرع. فكل البشر لو تدبروا أمر الكون لآمنوا بخالقه وأطاعوا رسله، الذين يدعون الناس إلى عبادة الله بالعقل والمنطق، ويقنعونهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى طريق الحق والفلاح فى الدنيا والآخرة. والرسل رضوان الله عليهم حين يذكّرون البشرَ بمظاهر قدرة الله حتى يؤمنوا، لا يكرهونهم على الإيمان، وإنما يتركون لهم فرصةً لحرية الاختيار.. ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)** ﴾ [**الغاشية**: ١٧ - ٢٢].

* * *

(١) النيسابورى: عرائس المجالس، ص ١٧٥ - أوفاهما: أىْ عشرُ سنين.

التكليف بالرسالة والعودة إلى مصر

بعد أن قضى موسى أو فى الأجلين فى أرض مدين، فكر فى العودة إلى مصر، وصحب معه زوجته وأهله وبعض أغنامه. وفى ليلة - وهو يعبر صحراء سيناء - وجد نارا تضىء من بعيد. ﴿ **فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)** ﴾ [**طه**: ١٠ - ١٤].

تلك هى المنة (الثالثة) الكبرى - التى أنعم الله بها على رسوله موسى، فقد تجلّى له، وخاطبه وكلمه، لذلك يسمى موسى «**كليم الله**». وبعض المفسرين من أهل السنة والصوفية مختلفون فى كيفية هذا الخطاب الإلهى بين الله سبحانه وتعالى ورسوله الكليم - خاصة وأن تلك إحدى المعجزات التى اختص الله بها موسى عليه السلام.

لكن الذى نراه ونؤمن به أن الخوضَ فى مثل تلك التفاصيل، أمرٌ لا مبررَ له ألبتةَ. وسواء أكلم الله سبحانه وتعالى رسوله مباشرة، أم عن طريق وحى يوحى، أم من وراء حجاب، فهذا أمر نتركه لعلم الله ومشيئته.

بعد ذلك أمر الله نبيه أن يتوجه بالرسالة إلى فرعون وملئه، وأن يدعوهم هو وأخوه هارون إلى عبادة الإله الخالق -الذى يستحق وحده العبادة والربوبية - لأن فرعون أضل قومه فعبدوه من دون الله. كما توجه موسى بالرسالة أيضا إلى بنى إسرائيل. وهذا ما توضحه الآية الكريمة: ﴿ **وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢)** ﴾ [**الإسراء**: ٢].

* * *

الصراع بين الإيمان والكفر

توجه موسى وأخوه هارون إلى فرعون وملئه ترعاهما عناية الله، وتحفظهما قدرته، وطلبا منه أن يؤمن بالله، وأن يسمح بخروج بنى إسرائيل من مصر، حتى لا يعذبهم ولا يتحكم فيهم بعد ذلك. لكن فرعون -فعل مثل ما فعل النمروذ من قبل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام - سأله متماديا فى الظلم والتجاهل: من الرب الذى تدعونى إلى

عبادته؟ طال الجدل والحوار . . لكن الكافر لم يؤمن ولم يقتنع، وظن موسى ساحرا، جاء ليخرجهم من بلادهم بسحره . جمع فرعون السحرة من كل مكان، حتى يهزموا موسى الساحر- كما ظن فرعون وهامان وقومهما . **إن المصريين كانوا قد برعوا فى السحر فى تلك الفترة بدرجة كبيرة، لذلك جعل الله إحدى معجزات موسى هى السحر**، لأن معجزة كل من رسول تكون فيما برع فيه قومه ونبغوا، حتى يقدروا قيمة تلك المعجزة[1] . جاء السحرة ومعهم فرعون إلى الموعد والمكان المحددين للمباراة والمنافسة بين موسى وبينهم . وما أجمل أن نتعرف على ما حدث فى هذا الموقف الصَّعْبِ من خلال قوله – عز من قائل – بأبلغ تعبير وأنصع بيان :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) ﴾ [طه : ٦٥ – ٧٣].

إن المعجزة واحدةٌ . . وهى أن عصا موسى تحوَّلت – بإذن الله ومشيئته – إلى حية كبيرة، تلتهم كل الأفاعى والثعابين الصغيرة – التي كانت – في واقع الأمر- عصى السحرة وحبالهم . حين رأى السحرة ما حدث، آمنوا برب موسى وهارون . أما فرعون فقد ظل على عناده وطغيانه وكفره . الموقف واحد – والآية واحدة . . لكن شتان بين من آمن، ومن كفر . بناء على هذا الاختيار الحر من البشر فى الدنيا، فإن المولى – جل وعلا – لا يسوى بين الناس فى الآخرة، لذلك يعقب ربنا على هذا الجزء من قصة سيدنا موسى بقوله – وهو العادل المقسط :

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

(١) راجع : السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث – القاهرة – جـ٤، ص٩ .

الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦].

طال الحوار والجدل بين موسى وهارون من ناحية، وبين فرعون وهامان من ناحية أخرى، لكن فرعون استخف بموسى وطلب من هامان أن يبنى له صرحا عاليا، حتى يصعد إلى السماء، لعله يرى إله موسى الذى يتحدث عنه. كما أخذ يفتخر بأن له ملك مصر وما بها من ثروة وحضارة بسبب نيلها العظيم. ثم أخذ فرعون يستهين بموسى الذين آمنت به طائفة من الناس مع أنه مهين، ولا يكاد يبين بسبب لثغة فى لسانه. كما أنه فقير لا يملك ذهبا، ولا تساعده الملائكة. كما يظهر من الآيات الكريمة:

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٤].

ظل فرعون وقومه على عنادهم وتكذيبهم لموسى، وإصرارهم على إيقاع ضروب الإذلال والإهانة ببنى إسرائيل، فأرسل الله إليهم بعض أنواع العذاب ليزدجروا مثل الجدب ونقص الثمرات والزروع، وسلط عليهم الجراد والقمل والضفادع وغيرها من الحشرات صغيرة الجرم، عظيمة الأذى والضرر.

* * *

الخروج.. ومعجزة شق البحر

أدرك موسى عليه السلام بعد أن طالَ الحوار واشتدَّ الصراع بينه وبين فرعون أن لا فائدة من البقاء، فدعا ربه، وجاءه الوحى وأمره بالخروج من مصر إلى فلسطين. وحين علم فرعون بذلك جمع جيشه، وانطلقوا فى إثر موسى وبنى إسرائيل، ليعاقبوهم على الهروب، ويردوهم مرة ثانية إلى ماكانوا فيه من ذل واستعباد. وقد أدركوهم بالقُربِ من خليج السويس. حوصر موسى وقومه: البحر أمامهم والعدو خلفهم، فماذا يصنعون ولا قدرة لهم على مواجهة فرعون وجنوده؟!

إن الله سبحانه لا يتخلى عن عباده المؤمنين، فأوحى إلى موسى أن يضرب بعصاه

البحر، فانفلق بقدرة الله سبحانه . وبعض المفسرين يقولون إن البحر بعد أن انفلق « تباعد الماء من الجانبين حتى ظهرت الأرض، وأشرف فى ذلك الحين فرعون على الموضع الذى عبر منه بنو إسرائيل، فرأى طريقا فى البحر، لا وعورة فيه، وبنى إسرائيل بين فرقى الماء لم يمسهم أذىً، فطمع أن يعبر فى إثرهم هو وجنوده، فاقتحموا طريق اليابس فى البحر خلف بنى إسرائيل . فلما جاوزَ بنو إسرائيل البحر، ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة، وفرعون قد توسط البحر وجنوده، انطبق البحر عليهم، وعاد كما كان أولا، وغرق فرعون وجنوده، ولم يُفلتْ منهم أحد ممن اقتحم الماء »(1) .

تلك هى المعجزة الالهية (الثانية) لعصا موسى عليه السلام، حيث شقت البحرَ بقدرة الله ومشيئته . وهذه آية لم يعطها الخالق العظيم لأحد من رسله وأنبيائه، فقد جعل لموسى فى عصاه هذه بعض المعجزات العظام، حتىٰ يقتنع قومه أن ما يفعله أمور خارقة فوق طاقة البشر وقدرتهم، ويقولوا الآن حصحص الحق . . تلك كرامات لا تحدث إلا لرسول مختار، يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد القهَّار .

وقد صور القرآن الكريم هذا المشهد الجليل فى سورة « الأعراف » و« يونس » و« الإسراء » و« طه » و« الشعراء » و« الزخرف » و« الدخان » و« الذاريات » . . وقد سبق ذكر هذه الآيات الكريمة جميعها، ونذكر منها موضعا واحدا ورد فى « سورة يونس » :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) ﴾ [يونس : ٩٠ - ٩٢](2) .

* * *

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، ص ٢٧٦ .

(٢) يذهب عبد الوهاب النجار إلى أن « فرعون المذكور فى الآيات الكريمة هو « منفتاح »، والمومياء الخاصة به موجودة فى المتحف المصرى، وقد وجدت جثته مع غيرها فى مقبرة « أمنحتب الثانى » بالأقصر » – قصص الأنبياء، ص٢٧٩ .

موسى وقومه فى سيناء

قصة موسى الرسول - عليه السلام - تنقسم إلى قسمين كبيرين، كل قسم منهما يختلف عن الآخر فى نوعية المعجزات التى أظهرها الله على يديه، وفى طبيعة الصراع، الذى تحمله - هو وأخوه هارون - من أجل الدعوة إلى الإيمان بالواحد الأحد وعبادته، ليدرك البشر ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥)** ﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

القسم الأول: فيه من المعجزات الدالة أن الله سبحانه أنقذ موسى من الموت وهو طفل رضيع، وجعله ينشأ فى بيت الحاكم، ويتربى تربية أبناء الملوك، ثم يتعرف على قومه بنى إسرائيل، ويرى ما هم فيه من ذل واستعباد. ثم فراره إلى أرض مَدْيَنَ، وزواجه ورعيه الغنم. وعند العودة إلى مصر فى الوادى المقدس طوى من سيناء ناداه ربه، وأمره أن يدعو فرعون وأهله إلى عبادة الله. ثم ظهرت له أيضا فى هذه المرحلة إحدى معجزات العصا حين تغلبت على سحر السحرة كما كان يضع يده فى جيب ثوبه، ثم يخرجها فتبدو ناصعةً بيضاء للناظرين.. لكن كل هذه المعجزات والآيات البينات لم تزد فرعون ومن اتبعه إلا ضلالا وطغيانا، فأمره الله أن يخرج من مصر، ويعبر ببنى إسرائيل البحر إلى سيناء بمعجزة أخرى من المعجزات، التى وضعها فى عصاه.. وهى شق البحر. **وصراع موسى وهارون فى هذه الفترة كان فى معظمه يدورُ مع (فرعون) وقومه، الذين طغوا فى البلاد، وأكثروا فيها الفساد.**

القسم الثانى: الذى سنقدم شرحا موجزاً لأهم عناصره -استمر فيه ظهور البراهين الساطعة والأدلة الناصعة لبنى إسرائيل على يدى موسى عليه السلام، بيد أنهم كانوا - كثيرا - ما يخلفون الوعد، وينقضون العهد، ويطلبون من نبيهم مطالب عدة، ويجادلونه فى أمور كثيرة، ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

أليس ذلك أمرا عجيبا من بنى إسرائيل.. الذين نجاهم اللهُ وهداهم، لكنهم لم يشكروا الله ولم يطيعوا رسوله فى كثير من المواقف، التى سنفصلها -كما وردت فى آيات الذكر الحكيم، لأن بعض قصص الأنبياء قد دخلتها زيادات وإضافات وتفصيلات كثيرة، بعضُها مستمد من «التوراة» فى إطار ما يسمى بالإسرائيليات، وبعضها الآخر أقرب إلى الحكايات الشعبية المستمدة من روح سيرة الشخصية التى تدور حولها القصة. ونحن فى هذا الشرح الموضوعى لسير أولى العزم من الرسل، نلتزم - فقط - بما ورد فى القرآن الكريم، لأنه جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المقدسة ومهيمنا عليها.

يبدو – والله أعلم – أن بعض بنى إسرائيل آمنوا برسالة موسى خوفا من فرعون الذى أذاقهم ألوانا من العذاب والذل، فلما نجوا من ظلم فرعون وعذابه، بدأوا يتمردون على موسى نفسه، ويخالفون تعاليمه. فطلبوا منه بعد العبور والنجاة أن يتخذ لهم إلها مجسدا مثل أصنام المصريين، لكنه لا مهم وسفَّه أحلامهم.. و ﴿ **قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** (١٣٨) ﴾ [**الأعراف**: ١٣٨] ثم أخذوا بعد ذلك يشتكون مما يلقون من عناء وقلة الزاد وندرة الماء، فرزقهم الله من الطيبات، وساق لهم المنَّ (نوع من الفاكهة) والسلوى (طائر السمان)، وفجر لكل سبط (جماعة) عينا من الماء، لا يزال بعضها موجوداً إلى اليوم فى منطقة «عيون موسى» جنوب سيناء.

ترك موسى قومه، وهم فى رخاء وبلهنية، ومعهم أخوه هارون ليكون نائبا عنه. وذهب للقاء ربه، بعد أن تبتل صوما وصلاة ودعاء أربعين يوما. وعندما حل موعد الميقات كلم موسى ربه، قائلا بخشوع وخضوع.. ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** (١٤٣) ﴾ [**الأعراف**: ١٤٣].

بعد أن أفاق كليم الله من غشيته، كلمه ربه وأخبره أنه اصطفاه، ليبلغ الرسالة، ويحمل الوصايا إلى بنى إسرائيل.. ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا** (١٤٥) ﴾ [**الأعراف**: ١٤٥].

تلك (معجزة) أخرى لم تُعط لرسول آخر.. وهى أن موسى كان يكلم الله تكليما، ويتلقى الوحى والهدى منه. كما أنه خُص برسالة منزلة من عند الله لهداية قومه، فيها موعظة وتفصيل لكل شيء.

عاد موسى حاملا الألواح التى خُطت فيها الآياتُ والوصايا، التى تلقاها على سفح جبل الطور، فوجد أن السامرى[1] أضل قومه، وصنع لهم عجلا جسداً له خوار، ليعبدوه فى أثناء غيابه، فغضب موسى على أخيه هارون الذى استخلفه، وهم أن يأخذ بتلابيبه.. ﴿ **قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** (٩٤) ﴾ [**طه**: ٩٤].

---

(١) السامرى نسبة إلى بلدة السامرة فى فلسطين.. وسامر نطقها فى العبرية «شومير» من مادة شمر أى حرس، – عبد الوهاب النجار، ص ٣٠٥.

ثم أخذ موسى العجل ونسفه فى اليم نسفا، حتى يعلم الجميع أن السامرى خدعهم، وأن ربهم هو الله الذى لا شبيه له ولا شريك، وأنه وسع كل شيء علما.

* * *

الرحلة إلى أرض فلسطين

أعاد موسى قومه إلى طريق الهداية بعد أن أضلهم السامرى، وأطلعهم على الوصايا التى تلقاها من رب العزة سبحانه. بعد ذلك جاءه الأمر بأن يرحل هو وبنو إسرائيل من سيناء إلى الأرض المقدسة -فلسطين، فأرسل بعض أتباعه، ليكتشفوا حالة البلاد قبل أن يدخلوها، فرأوا قوما ذوى أجسام ضخمة، وخوفوا قومهم من القدرة على لقائهم. وكعادة بنى إسرائيل - فى الجدل والمساومة - طلبوا من موسى أن يحارب هو وربه نيابة عنهم، فعاقبهم الله بأن جعلها محرمة عليهم أربعين سنة، يهيمون خلالها فى أرض سيناء مشردين ضائعين. والآيات التى تصور ذلك هى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦](١).

وقد مات هارون عليه السلام خلال فترة التيه، وحزنتْ عليه بنو إسرائيل كثيرا، لأنه كان أكثر شفقه - من موسى- بهم. ومن المعروف أن أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم بعد

---

(١) الأرض المقدسة: أرض فلسطين - وقيل المراد بيت المقدس - ترتدوا: ترجعوا إلى ما كنتم فيه من ضلال وزيْغ - جبارين: أقوياء يبطشون بمن يدخل أرضهم .. وهم الكنعانيون - أنعم الله عليهما.. بالشجاعة وعدم الخوف - الباب: باب سور بيت المقدس، وقيل الطرق المؤدية إلى فلسطين، وقيل الطرق المؤدية إلى مدينة أريحا.. والله أعلم. يتيهون: يضلون - تاسَ: تحزنْ.

ذلك من ذرية هارون عليه السلام.

توالت أحداث كثيرة خلال هذه الفترة مثل نتق الجبل ورفعه فوق بني إسرائيل، حتى يتعظوا ويطيعوا الله ورسوله.. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤].

ومن المواقف التي حدثت في هذه الفترة الأخيرة من حياة موسى عليه السلام موقف (ذبح البقرة) من أجل إحياء ميت قُتل ظلما. ومن المعروف أن بني إسرائيل لم يذبحوها إلا بعد جدل ولجاج طويل[1]. وهذه الحادثة تدل على معجزة غريبة صنعها الله لرسوله، لكي يقوى إيمان قومه به، إذ يبدو أن الإسرائيليين كانوا في حاجة دائمة إلى معجزات متجددة، حتى يتمسكوا بالإيمان، لأنهم – كما وصفهم القرآن الكريم – ذوو قلوب قاسية مثل الحجارة أو أشد قسوة.

* * *

في تلك الفترة أيضا حدثت (قصة قارون) الذي أنعم الله عليه بالعلم والمال، فجمع ثروة كبيرة. لكنه كان شحيحا بخيلا، ورفض أن يعطي الفقراء والمساكين مما أعطاه الله، فخسف به وبداره الأرض، حتى يكون عظة وعبرة لغيره من البشر[2].

وفي تقديرنا أن نموذج قارون –الغني البخيل– لا يزال موجودا بين اليهود حتى اليوم. والحديث عن خصال بني إسرائيل وطبائعهم أمر يطول شرحه، لذلك لم نذكر منها إلا ما كانت له علاقة مباشرة بقصة موسى عليه السلام، لأن الغدر والأذى والفسق والبخل وغير ذلك من قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق فطرة متحكمة فيهم، ليس ضد البشر فحسب، بل ضد أنبيائهم أيضا بما فيهم موسى نفسه. والقرآن يشير في أكثر من موضع إلى مخالفتهم لأوامر موسى ومحاولة إيذائه عمدا.. من ذلك قوله تعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ [الصف: ٥].

* * *

وقد بلغ من تماديهم في الفسوق والعصيان أنهم طلبوا من موسى أن يشهدوا كلامه

(١) تراجع الآيات في سورة البقرة – (٦٧–٧٤).

(٢) تراجع الآيات في سورة القصص – (٧٦–٨٣).

مع الله سبحانه، لكنهم لم يكتفوا بذلك، بل طلبوا أن يشهدوا الله جهرة بأعينهم، فأهلكم الله بسفاهتهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم. وقد ورد ذكر هذه الواقعة فى سورة الأعراف.. ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ (١٥٥) ﴾ [الأعراف: ١٥٥](١).

وفى هذه المرحلة أيضا حدث لقاء بين موسى والعبد الصالح (الخضر).. وسبب ذلك ما يروى عن رسول الله ﷺ: «إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل أى الناس أعلم؟ فقال أنا. فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه. فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا، فتجله فى مكتل، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثم...»(٢).

وقد وردت هذه القصة فى سورة الكهف (الآيات من ٦٠-٨٢)، وهى تدل على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين لرسوله أن فوق كل ذى علم من هو أعلم منه. وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة.. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [الكهف: ٦٦].

* * *

إن عناصر قصة موسى - عليه السلام - فى القرآن الكريم، كثيرةٌ ومتعددةٌ، سواء وهو فى مصر، أو فى أرض مدين، أو فى سيناء. وقد حاولنا أن نختصر شرحها - قدر الطاقة - لأننا نودُّ أن يكون تتبعُ عناصرها من خلال الآيات الخاصة بها فى القرآن الكريم - التى سبق ذكرها كاملة - حتى نتعَّرفَ على إطار القصة من آيات الذكر الحكيم، ونسْتلهم العبرة من قول ربِّ العالمين.

وفى نهاية الحديث نذكر أن هارون مات قبل موسى عليهما السلام. ويبدو والله أعلم أن موسى لم يعمر بعده طويلا. وتروى فى وفاة موسى روايات عدة بعضها مسند إلى رسول الله ﷺ(٣). ويذكر «ابن كثير» أن موسى توفى وعمره مائة وعشرون سنة -

(١) ميقات: الوقت المحدد للقاء - رجفة: رعشة وهزة شديدة، وقد خشى موسى أن يكون ذلك دلالة على غضب الله عليهم، ورغبته فى إهلاكهم نتيجة ضلالهم وطغيانهم حين طلبوا منه أن يروا الله جهرة بأنفسهم - السفهاء: سفيه، ضعيف العقل والإدراك.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٤٠٠.

(٣) راجع قصص الأنبياء لابن كثير القرشى، ص ٤٣١-٤٣٥.

والله أعلم[1]. وقد توفى موسى فى فترة التيه، لذلك يبدو أنه لم يدخل مع قومه أرض فلسطين – والله تعالى أعلم – وقد دخلوها فى عهد خليفته يوشع بن نون، وهو الذى رعى بنى إسرائيل بعد وفاة موسى.

هكذا انتقل موسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، واستمرت قصة دخول بنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة (فلسطين) على يد النقباء أو الأسباط –وهم من ذرية يعقوب عليه السلام– الذين تولوا قيادة بنى إسرائيل من بعد موسى. وهذا ما توضحُه الآية الكريمة ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)** ﴾ [المائدة: ١٢][2].

نود أن نصل بعد هذا إلى أن الحديث عن مسيرة بنى إسرائيل لم تتوقف فى القرآن الكريم وفى التاريخ بوفاة موسى عليه السلام. ونظرا لأن قصص بنى إسرائيل وأنبيائهم الذين جاءوا بعد موسى ليست لها علاقة قوية بقصة هذا الرسول الكريم، لذلك سنتوقف عند هذا الحد، ولن نتجاوزه إلى ما عداه، فلذلك حديث آخر –لا علاقة له بسيرة موسى ابن عمران، التى التزمنا بها فى الشرح والتفسير دون ما عداها.

* * *

تعقيب

إن قصة موسى الرسول تعد من أطول قصص الرسل أولى العزم فى القرآن الكريم، فهى أطول من قصتىْ نوح وإبراهيم عليهما السلام. كما ظهر من العرض الموجز لعناصر القصة أنها عامرة بأحداث كثيرة، وكل حدث منها يحمل معجزة واضحة ودلالة مؤكدة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤكد لقوم موسى أنه رسول مختار، مؤيد بمعجزاتٍ خاصة، حتى يؤمنوا بالرسالة ويصدقوا الرسول.

ومعجزاتُ موسى بن عمران تبدأ منذ مولده.. وبهذا يخاطبه رب العجزة سبحانه..

(١) المرجع السابق، ص ٤٣٥ –أبو إسحاق النيسابورى، ص ٢٤٨.

(٢) نقيبا: نصيرا ومساعدا – عزّر: عزز وأيَّد – أقرضتم الله.. بإعطاء الصدقات.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) ﴾ [طه: ٣٧ – ٣٩](١).

كما أن موسى ابتلاه ربه أكثر من مرة، حين قتل المصرى وخرج خائفا يترقب.. وحين ذهب إلى أرض مدين وحيدا.. وحين ظل يرعى الغنم عشر سنوات. كل ذلك الابتلاء كان وسيلة لتطهير الروح وصفاء النفس، حتى يكون الرسول مؤهلا لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة، لا سيما وأن الله سبحانه وتعالى خصه بما لم يخص به غيره، حيث كان وحده هو الذى كلم الله تكليما.

وحين أمره ربُّ العزة أن يتوجه إلى فرعون بالرسالة، ويدعوه إلى عبادة الله، لم يتردد ولم يضعف – رغم أنه كان يعرف مدى قوة فرعون وجنوده. وظل هو وأخوه هارون يدعوان إلى عبادة الله، وصمدا لطغيان فرعون وهامان، اللذين أصرا على الكفر– رغم ما أظهر موسى – عليه السلام – من معجزات بينات، مثل: قدرة العصا على إبطال سحر السحرة.. وهى التى سيشق بها البحر أيضا، وهى التى سيضرب بها الأرض فتتفجر عيون الماء. وهو الذى أنزل الله عليه كتابا مقدسا فيه حكم ومواعظ وتعاليم ووصايا.. وغير ذلك من المعجزات والهبات التى منحها الله – سبحانه – لموسى وقومه. لكن موسى لم يصبر على إيذاء فرعون فحسب، بل صبر أيضا على كثير من المواقف الحرجة التى كان بنو إسرائيل أنفسهم يفعلونها رغبةً فى الجدل والمساومة. وقد ظل ذلك ديدنُهم معه حتى قبيل وفاته، حين عزم على أن يدخل بهم الأرض المقدسة، وطلب منهم القتال، فرفضوا وقالوا فى عناد ومراوغة.. ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾ [المائدة: ٢٤].

* * *

أمر ثانوى.. نود أن نشير إليه فى قصة موسى، ذلك أن كثيرا من أحداثها وقعت فى الأراضى المصرية سواء أكانت داخل وادى النيل أم كانت فى مناطق سيناء الجنوبية والشمالية، وهو «علاقة مصر بالأديان السماوية». . فقد جاء إبراهيم الخليل إلى مصر،

(١) البيِّنات: الأدلة الواضحة على وجود الله – فطرنا: خلقنا.

وأقام فيها مدة طويلة، وكانت إحدى زوجتيه منها وهى السيدة هاجر أم إسماعيل. كما أن يوسف عليه السلام نشأ بها.. وتعلم وعمل إلى أن صار وزيرا، ثم استقدم أباه يعقوب وإخوته، وظلوا مقيمين فى مصر إلى بعثة موسى، حيث كانوا يشكلون جالية كبيرة. كذلك حضر إلى مصر - كما سنشير فيما بعد - السيد المسيح وأمه مريم عليهما السلام، وأقاما بها مدة طويلة ومعهما يوسف النجار - قرب مدينة إهناسيا، التابعة لمحافظة بنى سويف.

كما تزوج رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من السيدة مارية القبطية، التى أرسلها له المقوس حاكم مصر -حينذاك، وأنجب منها آخر أبنائه وهو إبراهيم.

من ذلك كله يتضح أن (مصر) ذاتُ علاقة وثيقة بمعظم الأديان السماوية.. وهذه العلاقة علاقة تصالح وتسامح. فقد كانتْ مصرُ وأهلها مهدا آمنا لكثير من الرسل والرسالات. ومع أن فرعون لم يؤمن برسالة موسى فإن كثيرا من المصريين آمنوا بها، وقد عاتبهم فرعون قائلا: كيف تؤمنون برب موسى وهارون، ولم آذن لكم بهذا؟ وأخذ يهددهم بالقتل والصلب فى جذوع النخل، لكنهم ردوا عليه فى ثقة المؤمن: ﴿ **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)** ﴾ [طه: ٧٢].

* * *

خاتمة

رحم الله موسى رحمة واسعة، فقد تحمل الكثير من أجل نشر الدعوة وتبليغ الرسالة سواء من فرعون وملئه أم من بنى إسرائيل قومه.. لكنه ظل صبورا ذكورا.. مؤمنا شكورا. ولا يقدر أحد أن يثنى عليه بقدر ما أثنى عليه رب العالمين بقوله: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)** ﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣][1].

وإذا كنا نقدم شرحا جديدا لقصة موسى الرسول عليه السلام، فإننا نرجو أن يجد

---

(١) مخلصا: نقيا من النقائص - الطور: جبل الطور فى سيناء - نجيا: أىْ أن الله أن كلمه مباشرة دون واسطة - رحمة: رأفة وشفقة به.

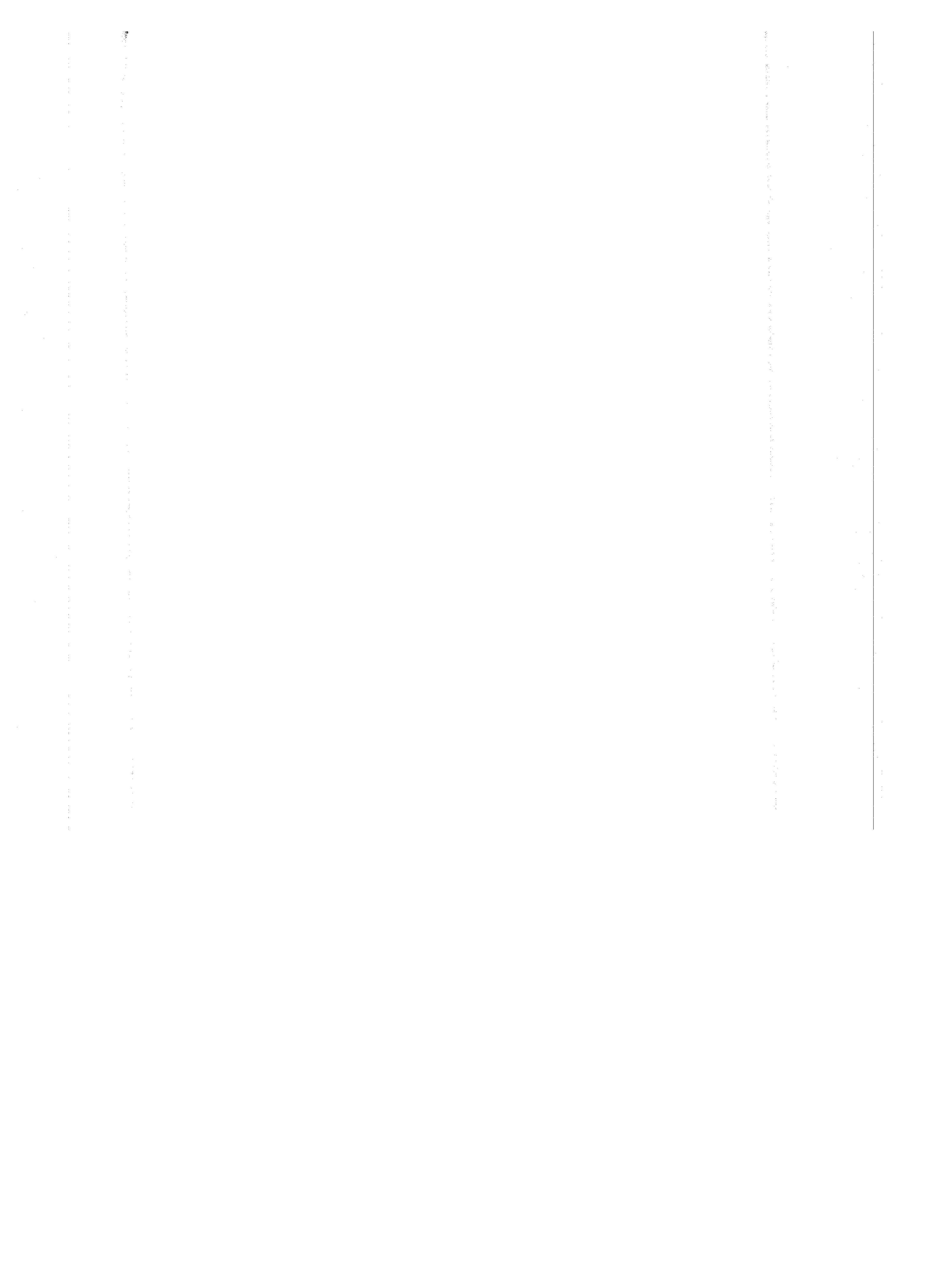
فيه كل مؤمن العبرة والحكمة.. كما نرجو أن يقرأها من يدعون أنهم أتباعه وأنصاره، حتى يفيئُوا إلى دعوة الحق، ويأخذوا جانبَ العدل، استجابة لقول الحكيم الخبير.. ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤)** ﴾ [غافر: ٥٣، ٥٤]. نقول هذا لأن بعض اليهود لم يقتدوا بأخلاق موسى رسولهم، ولم يحافظوا على ما أوصاهم به، وبدلوا بعض ما أنزل إليهم.. وإلى هذا يشير ربنا وربهم - رب العزة والخلق أجمعين - في كتابه الكريم.. ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)** ﴾ [الأنعام: ٩١].

رحم الله النبيَّ موسى بن عمران رحمةً واسعة، فقد كان من الرسل أولى العزم، الذين تحملوا كثيرا من الأذى والعذاب من أجل الدعوة إلى عبادة الله والإيمان بوصاياه.. وقد حاول أن يُرشد الناس إلى الحق والهدى في كل مكان، يحل به، وفي كل بلد، ينزح إليه. رحمه الله جزاء ما صبر، ونفعنا بسيرته، وحشرنا الله في زمرته، مع الرسل والأنبياء والصالحين، إنه على كل شيء قدير.

* * *

الفصـــل الرابع

عيســى .. كلمـةُ الله



قصة المسيح عيسى ابن مريم

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . . رابع أولى العزم من الرسل . وإذا كانت رسالتا نوح وإبراهيم قد انتهيتا، وزال أثرهما بسبب طول الفترة الزمنية بيننا وبينهم، فإن رسالتى موسى وعيسى لم تزل بعض آثارهما باقية . . ولا يزال لكل منهما أتباعٌ، يدينون بهما حتى اليوم . وإذا كان اليهود يمثلون – اليوم – فئةً قليلة نسبيًّا، فإن المسيحيين – أتباع عيسى عليه السلام – يشكلون نسبة كبيرة جداً من حيث العدد . . وهم موجودون فى معظم قارات العالم الستّ . وما نحن مهتمون به – فى هذه الدراسة – هو أن نُبرز القصة الحقيقة للمسيح عليه السلام . . كما وردت فى آيات القرآن الكريم، سواءٌ اتفقت أو اختلفت عما جاء فى بعض الأناجيل، خاصة : إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا . . وهى الأناجيل الأربعة التى عليها اتفاق معظم الطوائف المسيحية . ولا شك أن القرآن الكريم هو المصدر الأسمى، لأنه تنزيل من حكيم عليم . . أما هذه الأناجيل فقد كتبها بعض تلاميذ المسيح وحواريِّيه بعد أن رفعه الله إليه بمدة من الزمان، تتراوح بين مائة وأربعين إلى مائة وسبعين سنة . ومعنى هذا أن كُتّاب الأناجيل – فى أغلبهم – ليسوا من تلاميذ السيِّد المسيح المباشرين، وإنما هم من التابعين لتلاميذه وأنصاره . وشتان بين قول المولى عز وجل . . وبين كلام البشر، مهما كانت درجة إيمانهم، وبلغت مرتبة منزلتهم بالنسبة للنبىّ الذى يؤمنون برسالته .

عيسى – عليه السلام – يعد آخر الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل . وبعد ذلك سوف تنتقل الرسالة السماوية إلى العرب، حيث يقومُ بها محمد بن عبد الله – ﷺ – الذى بشر السيد المسيح نفسه ببعثته . وهذا ما تدل عليه الاية الكريمة : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الصف : ٦] .

* * *

اسم عيسى . . وكنيته

اسم العلم الذى يطلق على هذا الرسول العظيم هو « عيسى » – كما ورد فى الآية

الكريمة: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)﴾ [آل عمران: ٤٥].

وهذا الاسم أوحى به لأمه مريم قبل أن يولد فى ضاحية «بيت لحم» - قرب مدينة الناصرة فى فلسطين فى عصر القيصر الرومانى أُغَسْطَسْ، حيث كانتْ فلسطين فى ذلك العهد مستعمرة رومانية.

وهذه التسمية وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، كما فى السور التالية: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - التوبة - مريم - المؤمنون - الأحزاب - الزخرف - الحديد - الصف - التحريم... وسوف يأتى بيان ذلك بالتفصيل.

بالإضافة إلى اسم العلم (عيسى) هناك **كنايات عدة**، تدل على بعض صفاته ومعجزاته، سنحاول أيضًا أن نُلقى عليها قدرًا من الضوء والتفسير، لأن هناك مجموعة من الكنى، تُطلق على عيسى - عليه السلام - هى:

١ - **ابن مريم**: إشارة إلى أنه ابن السيدة الطاهرة مريم ابنة عمران.. وهو رجل من أتقياء بنى إسرائيل. وحين حملتْ زوجُه، نذرتْ أن تجعل المولود محررًا لخدمة محراب العبادة، لكنها جاءت أنثى.. ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وبعد أن كبرت الصبيةُ، قدمتها الأم إلى رُعاة الهيكل وفاءً لنذرها، فاختلفوا فى من يكفلها ويرعاها فى بيت العبادة، فقاموا بعمل قرعة، فكانت النتيجة أن الذى كفلها هو زكريا والد يحيى عليهما السلام وكان زوجَ خالتها، وهو الذى تشير إليه الآية الكريمة.. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقد استخدم الرسول ﷺ كنية «ابن مريم» فى أكثر من حديث صحيح.. ومنها حديث يروى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - وهو قوله: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء إخوة، أولاد علات[١]، ليس بينى وبينه نبي»[٢].

(١) علات: ضرائر - ج ضرّة.. أى أنهم من أب واحد، وأمهاتٍ مختلفات.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص٦٢٣.

ومعنى هذا الحديث الشريف أن رسول المسلمين محمدا ﷺ يقول إننى أحق الرسل بأن يُنسب السيد المسيح عليه السلام إليه، لأن الأنبياء جميعا إخوة، وإن اختلفت أمهاتهم، كما أن النبى محمداً هو الرسول التالى بعد النبى عيسى مباشرة، وليس بينهما رسول آخر.

من هذا نصل إلى أن الكنية بابن مريم يقصد بها أن السيد المسيح ليس له أبٌ، لذلك ينسب إلى أمه البتول السيدة مريم العذراء، التى ولدته دونَ أن يكونَ لها زوجٌ.

* * *

٢ - **المسيح** : ورد فى شرح هذه الكلمة عدة آراء .. منها : « كلمة المسيح - فى العبرية - تطلق بالاشتراك على النبىّ والملك. وليس المراد أنه سيصير ملكًا على بنى إسرائيل، بل هو (مجرد) اسم، كما تسمى ولدك سلطانًا وأميرًا. وقد يكون المراد أنه يزيِّنُهم بمملكة الأخلاق والفضائل والرحمة، وأنه يكون فى هذه الفضائل رأسا. وقد يكون المراد بكونه مسيحًا أنه يكون نبيًا »[١]. **وثمة رأى آخر وهو :**

« وقيل سمى المسيح لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن فى ذلك الزمان، لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام. وقيل لأنه كان ممسوح القدمين »[٢].

وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم بهذه الكنية - « المسيح » - فى أكثر من موضع، ومنها قوله سبحانه وتعالى : **﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾** [المائدة: ٧٥].

والمسيح كلمة على وزن (فعيل) .. وهى صيغة مبالغة إذا اعتبرنا أصلها عربيا، فمسيح قد تكون بمعنى سائح .. وهو السائر فى طريق العبادة. وقد وردت بهذا المعنى فى قوله تعالى : **﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾** [**التوبة**: ١١٢].

وقد يكون الأصل أو الجذرُ اللغوى لكلمة مسيح من (مسح) ، وليس من (سيح) - سياحة .. أى السير فى أمان .. أو فى طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة. أما كلمة مسح .. فمعناها : الغَسل بالزيت أو بالماء .. أو - المحو والإزالة. وعلى هذا يمكن أن يكون

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، ص٥٠٥ .

(٢) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص٦١٩ .

المعنى: أن الله طهر المسيحَ وغسلَه من الذنوب.. أو أن الله محا عنه الذنوب وأزالها، وطهره من الآثام التى قد يرتكبها بعض البشر.

وهذه تخريجات لغوية على أساس أن الكلمة عربية الأصل، لأن هناك من يقول بأنها غير عربية.. مثل صاحب قاموس «المصباح المنير» - وهو أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى (ت ٧٧٠هـ)، الذى يرى أن كلمة المسيح معربة وأصلها بالشين المعجمة.. أى التى فيها نقط[1]. وكلمةُ (المشيح) بالعبرية معناها المغسول أو المطهر بالزيت، وكان هذا تقليداً عند اليهود، يدشنون به الأنبياء والملوك.

والأرجح أن كلمة «المسيح» عِبريةُ الأصل، وهى مشتقة من جذر سامى مشترك هو (م ش ح)، الوارد فى بعض اللغات السامية ومنها العربية بمعنى (مسح)، وتعنى لغويا: الغسل والمحو والإزالة.

وتستخدم فى الاصطلاح الدينى عند اليهود والنصارى بمعنى: «المسح بالزيت»، وهو طقس مقدس، يجرى عند تعيين أو تدشين شخص مهم لوظيفة دينية أو سياسية، وبخاصة مع الكهنة والملوك. كما يجرى هذا الطقسُ أيضا على بعض الأشياء لتصبح مقدسة، مثل بعض الأوانى والأماكن.

أما كلمة «المسيح» فأصلها فى العبرية (مَشِيَّحْ) ومعناها الممسوح بالزيت، وهى تطلق على بعض الملوك والكهنةفى بنى إسرائيل. وهو لقب المسيح آخر رسلهم.

وهى تقابل فى اليونانية (Xpiotos) (كريستوس)، التى يقابلها كلمة (Christ) فى الإنجليزية.

* * *

٣ - يســوع: كلمة عبـرية بمعنى المخلِّص، الذى يُخلص الناسَ من الخطايا والذنوب، ويهديهم إلى الطريق المستقيم، «ذلك أن بنى إسرائيل طال عليهم الأمدُ، فقست قلوبهم، وحرّفوا شريعةَ الله التى جاءهم بها موسى عليه الصلاة والسلام، وانحرفوا عن الطريق الواضح، وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوى، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط. فمن إفراطهم فى مراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المراد لله تعالى أنهم كانوا يتحرجون من عمل الخير فى السبت باعتباره يوم عُطلة (مقدس) لا يجوز العمل فيه، ففوتوا طاعاتٍ كثيرة توُجب الزلفى إلى الله بتلك الحجة. والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية، وأما فعل الخير فإنه لا حرجَ فيه وليس من

(١) المصباح المنير: ص ٦٩٦.

الأفعال المنهى عنها، لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى إلى تعطيل الخير فى ذلك اليوم»[1].

وعلى هذا فإن كلمة «يسوع» معناها المخلص، الذى أرسل، لكى يُخلِّص البشَر من الزيف والضلال، ويعيدهم إلى طريق العبادة الصحيح. وهذه الكلمةُ أصلها عبرى - وهو (يهُو شُوَّعْ)، وقد تم اختصاره إلى (يَشُوَّعْ).. التى عربت إلى (يسوع).. ومعناها الإله المخلص. وهذا معنىً غريب.. لذلك لم يردْ فى القرآن الكريم

* * *

٤ - **كلمة الله** : عيسى كلمة من الله، أى معجزةٌ من معجزات الله، إذ خلقه على غير العادة المألوفة للبشر أجمعين فى التزاوج والتناسل، فأمه لم تكن زوجةً.. وبالتالى لم تكن مهيأة للإنجاب. لكن الله أمرَ.. وأراد، فتحققت المعجزة.

وهذه الكنية تؤخذ من قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ..** ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقد وردتْ هذه الكنيةُ نفسها فى القرآن الكريم فى سياق آخر فى السورة نفسها (آل عمران) عند الحديث عن البشارة بمولد النبى يحيى بن زكريا عليهما السلام.. والنبى زكريا هذا هو الذى كان يكفلُ مريمَ فى محراب العبادة.. ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)** ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩].

والدكتور شوقى ضيف يفسر قوله تعالى: «مصدقًا بكلمة من الله ،أى بعيسى ابن مريم...»[2].

وجاء فى تفسير «ابن كثير» أن يحيى هو «أول من صدَّقَ بعيسى ابن مريم، وقال ابن عباس: كان يحيى وعيسى ابنىْ خالة..»[3] ثم جاء هذا التفسير نفسه فى معرض شرح قوله تعالى: ﴿ **إن الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ أى بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أى

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥٢٦ .

(٢) شوقى ضيف : الوجيز في تفسير القرآن الكريم، ص١٠٢ .

(٣) ابن كثير : تفسير ابن كثير – تحقيق محمد الصابونى، جـ١، ص٢٨٠ .

يقول له كن فيكون . . »[1].

وقد جاء فى كتاب «المنتخب فى تفسير القرآن الكريم»، الذى ألفته لجنة القرآن والسنة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة . . فى تفسير هذه العبارة . . «بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السُّنة العادية فى التوالد»[2]. وجاء فى تفسير آخر . . «إن الله يبشرك بمولود يحصلُ بكلمةٍ من الله بلا واسطة أب . . »[3].

* * *

ومن خلال هذه التفاسير - وغيرها مما اطلعنا عليه - ننتهى إلى أن ثمة كنية غير مستخدمة كثيراً فى وصف المسيح عليه السلام وهى «كلمة الله» أى معجزته، التى أرادها لمريم وابنها.

وبهذا يكون المسيح رسولاً . . صاحبَ معجزات ابتداء من مولده عليه السلام . . فالميلاد على هذا النحو الخارق معجزةٌ من معجزات الرب الخالق سبحانه وتعالى. ولمن يتعجبون من هذا الميلاد المعجز - الذى ليس له مثيلٌ فى عالم البشر منذ خلق الله آدم - نُذكِّرهم بقوله تعالى . . ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقد جاء فى تفسير هذه الآية: « . . . «إن مثل عيسى عند الله» فى قدرة الله، حيث خلقه من غير أب «كمثل آدم»، حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل «خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون». فالذى خلق آدم من غير أب (أو أم) قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحْرى، وإن جاز ادعاء النبوة فى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى. ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواهم فى عيسى أشدُّ بطلانا وأظهرُ فسادا. ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البريِّة من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى فى سورة مريم: ﴿ **ولنجعله آية للناس** ﴾ وقال سبحانه فى هذا السياق أيضا: «الحق من ربك فلا تكن من الممترين»،

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ١، ص٢٨٣.
(٢) المنتخب - ص ٥٦.
(٣) محمد على الصابونى: صفوة التفاسير، جـ١، ص٢٠٢.

أى هذا هو القول الحق فى عيسى، الذى لا محيدَ عنه ولا صحيحَ سواه »[1].

وننتهى إلى أن كنية عيسى « كلمة الله » .. قد وردت – أيضًا – فى سورة « النساء » .. ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** .. ﴾ [**النساء** : ١٧١] .

* * *

٥ – **الناصرى** : من الكُنى التى تُطلق – أحيانا – على عيسى الرسول .. « الناصرى »، نسبة إلى بلدة « الناصرة »، وهى موطن أمه السيدة مريم البتول .. وقد عاش فيها عيسى فى رعاية أمه ويوسف النجار قبل أن يهاجر إلى مصر وبعد أن عاد منها. وبلدة الناصرة تقع فى منطقة الجليل – وقال العقاد – نقلا عن بعض المؤرخين – أنها كانت تسمى « جليل الأمم » – دلالة على أن جماعات كثيرة من الأمم المجاورة، كانت تقيم فيها[2].

وكما يسمى المسيح « الناصرى » يسمى أتباعه « النَّصارى » وقد وردت هذه التسمية فى أكثر من موضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ... ﴾ [**المائدة** : ١٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ١ ، ص٢٨٧ .

(٢) « ومما اتفقت عليه أقوال المؤرخين، وتردد كثيرا فى روايات التاريخ أن جمهرة كبيرة من أهل الجليل كانوا عربًا، يتكلمون الآرامية بلهجة أجنبية يلحظها أهل الجنوب، ويميزون المتكلم بها من كلمات قليلة تبدر منه عرضا على غير روية. وكذلك عرف الحواريون فى الهيكل كما كانوا يعرفون فى كل فلسطين.

وقد كان من الأمثال السائرة على ألسنة اليهود المتعصبين لتقاليدهم وعاداتهم « أنه لا خير يأتى من الجليل » . وقد ورد فى إنجيل يوحنا أن نثنائيل عجب حين قال له صاحبه « إننا وجدنا الذى أنبأ عنه موسى، وإنه من الناصرة فى الجليل . فأجابه مستغربًا : أمن الناصرة يجىء شىء صالح؟! » .

وكانت السماحة وقلة التحرج (التشدد) هما سببُ هذه النقمة على الجليل وأهله فى نفوس أبناء اليهودية، المنكرين لكل سماحة والجامدين على كل حرج . ولكن هذا السبب بعينه هو الذى جعل أرضَ الجليل أصلح منبت للدعوة الإنسانية التى ترقبها العالم فى ذلك العصر، فما كان من اليسير أن تنبثق في كنف الحجر والجمود .

وقد اتفق بعد مولد السيد المسيح ببعض سنوات أن الجليل خرجتْ من سلطان ملك اليهود على إثر وفاة هيرود الكبير، وأنها دخلت هى والبادية المجاورة لها فى نصيب ابنة هيرود انتيباس. وربما كان (المسيح) عليه السلام فى العاشرة من عمره حينما هدم الرومان عاصمة الأمير الجديد، وبُنيت العاصمة الجديدة طبرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عليه السلام » .

عباس العقاد : عبقرية المسيح، ط دار أخبار اليوم – كتاب اليوم – عدد يناير ١٩٥٣، ص ٧٣ .

وكلمة « نصارى » . . ومفردها الشائع « نصرانى » . وإذا حذفنا « ياء النسب » تصبح نصران – على وزن « فعلان » – وهو وزن مستخدمٌ فى العربية، ويعد أحد صيغ المبالغة – على هذا تكون بمعنى ناصر . . ونصير، أى المؤيد والمعين.

وقد وردت كلمة « أنصار » بهذا المعنى فى القرآن الكريم . . فى سياق الحديث عن النبى عيسى، ومؤيديه والمصدقين به من قومه . . ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٥٢) ﴾ [**آل عمران**: ٥٢] .

ونحن نميل إلى أن كلمة « نصارى » . . و« نصرانى » مشتقه من مادة « نصر » بمعنى أيد وأعان، وليست مستمدة من كلمة « الناصرى »، التى تطلق كنية على عيسى عليه السلام – أحيانا .

* * *

٦ – **النصرانى** : كلمة نصرانى نسبة إلى مدينة الناصرة . . وهو نسبٌ على غير قياس . . ومستخدمٌ فى اللغة العربية .

* * *

ننهى الحديث عن اسم « عيسى » والكنى التى تطلق عليه إلى أن هذه الأسماء وتلك الكُنى، تنقسم إلى قسمين : قسم عبرى – وقسم عربى .

أما القسم (العبرى) فهو يشمل الكلمات التالية :

١ – **عيسى** . . وهى علم أعجمى مثل إبراهيم وموسى .

٢ – **المسيح** . . أى الممسوح بالزيت .

٣ – **يسوع** . . أى المخلص .

ثانيا : القسم (العربى) : ويشملُ الكلمات التالية :

١ – **ابن مريم** . . أى أنه منسوب إلى أمه بسبب معجزة مولده .

٢ – **كلمة الله** : وهى تسمية مستمدة من بعض آيات القرآن الكريم – كما سبق .

٣ – **الناصرى** : نسبة قياسية إلى بلدة « الناصرة » – مسقط رأسه .

٤ – **النصرانى** : نسبة على غير قياس . . إلى مدينة الناصرة .

الموضع والدلالـة

سنذكر في البداية المواضع التي وردت فيها قصة المسيح – عليه السلام – على حسب ترتيب سور المصحف :

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١	البقرة	٢	مدنية	٨٧ –٨٩	٣
٢	آل عمران	٣	مدنية	٤٥–٦٤	٢٠
				٨٤	١ = ٢١
٣	النساء	٤	مدنية	١٥٥–١٥٨	٤
				١٦٣	١
				١٧١ – ١٧٢	٢ = ٧
٤	المائدة	٥	مدنية	١٧	١
				٤٦	١
				٧٢	١
				٧٥	١
				٧٨	١
				١١٠ – ١٢٠	١١ = ١٦
٥	الأنعام	٦	مكية	٨٥	١
٦	التوبة	٩	مدنية	٣٠ – ٣١	٢
٧	مريم	١٩	مكية	١٦ – ٣٧	٢٠
٨	الأنبياء	٢١	مكية	٩١	١
٩	المؤمنون	٢٣	مكية	٥٠	١
١٠	الأحزاب	٣٣	مدنية	٧	١
١١	الشورى	٤٢	مكية	١٣	١

مسلسل	السورة	رقمها	نوعها	رقم الآيات	عدد الآيات
١٢	الزخرف	٤٣	مكية	٥٧ – ٥٩	٣
				٦٢ – ٦٤	٣ = ٦
١٣	الحديد	٥٧	مدنية	٢٧	١
١٤	الصف	٦١	مدنية	٦	١
				١٤	١ = ٢
١٥	التحريم	٦٦	مدنية	١٢	١
				٣٣ مكية + ٥٤ مدنية =	٨٧ آية

ويمكن أن نُرتِّبَ الجدول السابق بحسب المكى والمدنى من الآيات – كما يلى:

العهـد	الموضع	الآيات	النسبة
المكى	٧	٣٣	٣٧٫٩٣٪
المدنى	٨	٥٤	٦٢٫٠٧٪
المجموع	١٥	٨٧	١٠٠ ٪

لعل أهم ملاحظة يمكن أن نتوصل إليها من الجدول السابق، الذى يوضح نسبة المكى إلى المدنى فى قصة السيد المسيح – عليه السلام – هى أن **الآيات المدنية (٥٤) أكثر عدداً من الآيات المكية (٣٣).. وهذا بخلاف ما نجده فى سير أولى العزم السابقين مثل:** نوح وإبراهيم وموسى – عليهم السلام، حيث كان المولى عزّ وجل فى أثناء العهد المكى يقص على رسوله الأمين قصصَ الرسل والأنبياء السابقين، حتى يثبت فؤاده، ويشد أزره، لكى يصبر كما صبر أولو العزم، ويعرف أن ما حدث له من صدٍّ وتكذيب من كفار مكة، قد حدثَ لغيره من الأنبياء، ولكن الله فى النهاية يُنجى رسله والذين آمنوا معهم. وهذا ما تؤكده بعضُ الآيات الكريمة، ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)**

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠١) ﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١].

* * *

إن قصة السيد المسيح - بخلاف قصص غيره من أولى العزم من الرسل - قد ورد أكثرها فى سور العهد المدنى وآياته الكريمة. ولعل السر فى هذا - والله أعلم - هو أن الرسول ﷺ حين هاجر هو والذين آمنوا معه إلى المدينة، وجدوا جالية كبيرة - نسبيا - من اليهود والمسيحيين، وكانت لدى تلك الجالية بعض المفاهيم الخاطئة عن سيرة المسيح عليه السلام، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لهم ولغيرهم حقيقة سيرة ذلك الرسول الكريم...[1] وهذا ما تدل عليه بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ** ... ﴾ [البقرة: ١١٣].

ويبدو أن الجدال - حول حقيقة عيسى - فى أثناء إقامة الرسول فى المدينة، لم يكن بين اليهود فحسب، بل يبدو أن بعض المسيحيين أيضا كانوا يدخلون - بقدر ما - فى هذا الجدل، وذلك ما توحى آية كريمة أخرى وردت فى سورة البقرة - التى تعد من أكبر سور العهد المدنى، بل إنها تعد من أطول سور القرآن الكريم - وهذه الآية هى.. ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)** ﴾ [البقرة: ١٢٠، ١٢١][2].

وقد فسر «ابن كثير» هاتين الآيتين على النحو التالى:

«قال ابن جرير (الطبرى): يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾، ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدعْ طلبَ ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبلْ على طلب رضا الله إلى ما بعثك الله به من الحق. وقوله تعالى: ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾، أى قل يا محمد إن هدى الله الذى بعثنى به

---

(١) من المعروف أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ومحمد، والمسيحيين ينكرون رسالة محمد.. وأما المسلمون فإنهم يؤمنون بالله وبكل الرسل والأنبياء السابقين.

(٢) ملة: دين - هدى الله: الإسلام - الهدى: الحق - الذين آتيناهم الكتاب: اليهود والنصارى.

هو الهدى، هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل. ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير** ﴾ فيه تهديدٌ ووعيد شديد للأمة فى اتباع طرائق اليهود والنصاري بعد ما علموا من القرآن والسنة – عياذًا بالله من ذلك – فإن الخطابَ مع الرسول والأمرَ لأمته. وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿ **حتى تتبع ملتهم** ﴾ حيث أفرد الملة (دلالةً) على أن الكفر كله ملة واحدة، كقوله تعالى: ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾. فعلي هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينَه سواء أكان من أهل دينه أم لا، لأنهم كلهم ملة واحدة.

وقوله: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته** ﴾، قال قتادة: هم اليهود والنصارى، واختاره ابن جرير. وقال سعيد عن قتادة: هم أصحابُ رسول الله ﷺ. قال ابن مسعود: والذى نفسي بيده إن حق تلاوته.. أن يُحلَّ حلاله، ويُحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلِمَ عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله. وقال الحسن البصرى: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل منه إلي عالمه. وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن مسعود فى قوله: ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾، يتبعونه حق اتباعه. وقال أبو موسى الأشعرى: من يتبع القرآن يهبطْ به على رياض الجنة. وعن عمر ابن الخطاب: هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها. قال: وقد رُوِىَ هذا المعنى عن النبي ﷺ أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ.

وقوله: ﴿ **أولئك يؤمنون به** ﴾ خبر، أى من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة علي الأنبياء المتقدمين حق إقامته.. آمن بما أرسلتك به يا محمد، كما قال تعالى: ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ الآية. وقال: ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والأنجيل وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾، أى إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتم بها حق الإيمان، وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعثِ محمد ﷺ ونعته وصفته، والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل** ﴾ الآية، وقال تعالي: ﴿ **الذين آتيناهم الكتابَ من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرؤن بالحسنة**

السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾، وقال تعالى: ﴿**وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم، فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾. وفى (الحديث) الصحيح: «والذى نفسى بيده – لا يسمعُ بى أحدٌ من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى، ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار»[1].

من هذا يتضح أن الحديث عن النصرانية (واليهودية) كان موضعَ جدالٍ فى المدينة بين اليهود والنصارى من ناحية، وبين الرسول والمسلمين من ناحية أخرى. ذلك ما تدل عليه بعض آيات الذكر الحكيم، وبعض أحداثِ السيرة المحمدية العطرة، **حيث كانت يثرب (المدينة) غداةَ هجرة الرسول ﷺ إليها، بها كثير من اليهود**، فقد كان «يقيم منهم بنو قينقاع فى داخلها، ويقيم بنو قريظة فى فدك، وبنو النضير على مقربة منها، ويهود خيبر فى شمالها.... وقد ظن اليهودُ (فى بادئ الأمر) أن في مقدورهم استمالةَ محمد إليهم وإدخاله فى حلفهم، والاستعانةَ به علي تأليف جزيرة العرب، حتى تقف فى وجه النصرانية التى أجلت اليهود – شعب الله المختار – عن فلسطين أرض الميعاد ووطنهم القومى...»[2].

* * *

من هنا يتضح أن وجود اليهود فى يثرب وما حولها.. وخصومتَهم القويةَ للمسيح والنصارى، كانتْ سببًا من أسباب تأجيل المولي عز وجل قصة المسيح، لكى تُذكر فى سور العهد المدنى. ولا شك أن فى هذا تحذيراً وتنبيهًا للرسول والمسلمين من اليهود، لأن من تجرأ على إيذاء المسيح وأعوانه، لن يَسْتحى من إيذاء محمد وأنصاره، لذلك يحذر الله سبحانه الرسول والمسلمين فى سورة (مدنية) من اليهود بقوله: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾ [**المائدة**: ٧٠][3].

ثم يذكر أيضا – عزَّ من قائل – فى السورة نفسها: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**

(١) تفسير ابن كثير – جـ ١، ص ١١٤.

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ط دار الكتب المصرية، ١٣٥٤هـ، ص٢١٨.

(٣) ميثاق: عهد – رسلاً: أنبياء – تهوى: تحب.

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

ثم يقول سبحانه أيضا، حتى يحذر الرسول والمسلمين من اليهود، ويوضح أنهم مثل المشركين في كراهية المسلمين والرغبة فى إيذائهم.. ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...** ﴾ [المائدة: ٨٢].

كذلك كان وجود بعض المسيحيين فى يثرب وغيرها من بلاد العرب.. وتوجههم إلى الرسول ﷺ – أحيانا – لسؤاله عن رأيه فى أمر عيسى ورسالته من الأسباب، التى يمكن أن يفسر بها وجود قصته فى العهد المدنى بشكل أوضح عما هى عليه في العهد المكى.

يؤكد هذا أن «ابن كثير» فى معرض تفسيره للآية (٦١) من سورة «آل عمران» وهى ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع، أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾.

يقول ابن كثير إن سبب النزول هو .. قدومُ وفدٍ من مسيحيِّى نجران إلى رسول الله ﷺ فى يثرب، ثم يضيف: «إن النصارى لما قدموا جعلوا يحاجون (الرسول) فى عيسى، ويزعمون فيه من النبوة والإلهية، فانزل الله هذه المباهلة (المحاورة) وما قبلها من أول السورة إلى هنا – فى وفد نجرانَ – ردًّا عليهم»(١).

من أجل ذلك وغيره – مما يحيطُ به علمُ ربِّنا.. جلَّتْ حكمتُه – وردتْ معظمُ تفاصيل قصة عيسى (عليه السلام) فى العهد المدنى.. وليس فى العهد المكى، كما حدث مع غيره من الرسل أولى العزم!!

* * *

(١) تفسير ابن كثير – جـ١، ص٢٨٨.

مواضعُ قصة عيسى - عليه السلام

سوف نذكُر هنا السور الكريمة التى وردت فيها قصة عيسى مرتبة بحسب كثرة عدد الآيات .. بصرف النظر عن كونها مكية أو مدنية. وهذا إحصاء بذلك :

مسلسل	السورة	نوعها	عدد الآيات
١	آل عمران	مدنية	٢١
٢	مريم	مكية	٢٠
٣	المائدة	مدنية	١٦
٤	النساء	مدنية	٧
٥	الزخرف	مكية	٦
٦	البقرة	مدنية	٣
٧	التوبة	مدنية	٢
٨	الصف	مدنية	٢
٩	الأنعام	مكية	١
١٠	المؤمنون	مكية	١
١١	الأنبياء	مكية	١
١٢	الأحزاب	مدنية	١
١٣	الشورى	مكية	١
١٤	الحديد	مدنية	١
١٥	التحريم	مدنية	١
١٥ موضعا		٥٤ مدنية + ٣٣ مكية = ٨٧	

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٦٤].

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

* * *

ثانيا: سورة مريم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)﴾ [مريم: ١٦ - ٣٧].

* * *

ثالثا: سورة المائدة

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾ [المائدة: ١١٠ - ١٢٠].

* * *

رابعًا: سورة النساء

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٨].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

* * *

خامسا : الزخرف

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٩].

﴿ وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) ﴾ [الزخرف: ٦٢ - ٦٤].

* * *

سادسا : سورة البقرة

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ [البقرة: ٨٧ - ٨٩].

* * *

سابعًا : التوبة

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

* * *

ثامنا : سورة الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤].

* * *

تاسعا : سورة الأنعام

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٥].

* * *

عاشراً : سورة الأنبياء

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩١].

* * *

حادى سورة المؤمنون

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

* * *

ثانى عشر : سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

* * *

ثالث عشر : سورة الشورى

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

* * *

رابع عشر : سورة الحديد

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ﴾ [الحديد: ٢٦].

* * *

خامس عشر : سورة التحريم

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ [التحريم: ١٢].

* * *

الإطـار . . والمغـزى

سيرةُ السيد المسيح – عليه السلام – مليئةٌ بالمعجزات، بل إن مولده ووجوده فى الحياة . . وذهابه عن الدنيا أيضا معجزة . وربما كانتْ هذه الولادة المعجزة . . والنهاية المعجزة من أسباب اختلاف بعض البشر فى الموقف منه ومن رسالته . ولا يزالون مختلفين إلا من عَصَم ربُّك، وهداه إلى صراط مستقيم . والإطار العام لسيرته العطرة سوف نتلمسه فى القرآن الكريم، حيث إن خير الكلام كلامُ الله، وأصدق القصص هو ما ورد ذكره فى القرآن . والله جل شأنه يشير فى أثناء الحديث عن بعض معالم سيرة سيدنا عيسى فى سورة «آل عمران» إلى أن من يختلفون فى أمر عيسى، عليهم أن يعرفوا حقيقة أمره مما ورد فى القرآن . . ﴿ **الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)** ﴾ [آل عمران : ٦٠ – ٦٢](١) .

هكذا يخبرنا العزيز الحكيم –جل شأنه– أن ما جاء به القرآن هو الصدقُ، وأن ما قصه عن رسله هو القصص الحق . كما أنه سبحانه يخاطبُ عباده بمنطق مفهوم، وأسلوب واضح أملاً فى أن يتفقوا على كلمة سواء، ويؤمنوا بالرسالة الغراء، حتى ينجيهم من عذاب يوم عظيم . فإن أعرضَ البعضُ عما جاء فى القرآن، فينبغى أن نشهدهم بأنا مسلمون . . وأنه من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه .

* * *

السيدة مريم ومعجزة الميلاد

كانتْ فلسطين قبيل مولد المسيح تُعانى من ظلم وظلام شديديْن : أما الظلم فقد تمثل فى احتلال الرومان وبطشهم وطغيانهم بالبلاد ومن عليها . أما الظلام فقد تمثل فى ضلال اليهود وبُعدهم عن رسالة موسى –عليه السلام– وانقسموا إلى شيعٍ وفرقٍ متنافرة . وقد

(١) الممترين : الشاكين – فيه : فى عيسى – نبتهل : نتوجه إلى الله بلعنة الكاذب أو الظالم – هذا : ما جاء فى أمر عيسى .

أشار العقاد إلى ذلك فى فصل مطول، وذكر أنه كانتْ هناك خمسُ طوائف، هى: الصدقيون -الفريسيُّون- الآسيون -الجليليون- السامريون.. «ولا يستوفى الكلام على القوى الدينية التى كان لها عمل محسوس فى موطن السيد المسيح قبيل ميلاده عليه السلام بغير الإشارة إلى طائفة النذرين أو المنذورين، الذين وهبوا أنفسهم، أو وهبهم أهلوهم لحياة القداسة وخدمة الله والتبشير باليوم الموعود: يوم الخلاص من الظلم والجور والتطهر من الذنوب.

ولم يكن هؤلاء النذريون طائفة تجمعها الوحدةُ التى تجمع بين أصحاب النحل والمراسم الاجتماعية. ولكنهم كانوا آحادًا متفرقين، ينذر كل منهم نفسه أو ينذره أهله على حدة، ولا ينتسبون إلى جماعة واحدة غير جماعة الأمة بأسرها»(١).

فى تلك الأثناء ولدتْ مريم، لأب يهودى صالح يسمى عمران.. مات، ومريمُ لاتزال جنيناً فى رَحِم أمٍّ طاهرة صالحة، وكانتْ هذه الأم أختا لامرأة طيبة عاقر هى زوجة زكريا عليه السلام، وسوف تلد له يحيى [يُوحنّا المعمدان الذى قتله اليهود]. وبعد وفاة الأب نذرتْ الأرملةُ الصالحة (أم مريم) ما فى بطنها محرراً لله سبحانه، وعزمتْ على أن تجعل المولود خادمًا للمعبد، لكنها جاءت أنثى.. فوفَّت الأم نذرها -رغم وفاة الزوج وحاجتها إلى الولد. ومعنى هذا أن مريم كانت من طائفة «النذريين.. أو المنذورين» لخدمة الهيكل والانقطاع لعبادة الله. **فتاةٌ صغيرة يتيمة وحيدة، لم تشغل نفسها بما تَشْغل به لداتها من البحث عن شئون الحياة، لأن الله سبحانه اختارها لتكون صاحبة معجزة، لم تُعط لأى من نساء العالمين**. وقد كفلها زكريا - زوج خالتها.. ووالد يحيى. وكان ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** (٣٧) ﴾ [آل عمران: ٣٧](٢).

نتوقف عند المغزى الأول فى قصة المسيح عليه السلام.. وهو يكمن فى أمه العذراء البتول، التى خصها الله بذلك الميلاد المعجز.. فقد ولدت لأب صالح، وأم تقية، لذلك قالوا لها: ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** (٢٨) ﴾ [مريم: ٢٨] فى هذه الأسرة الصالحة نشأتْ مريم، ثم دخلت هيكل العبادة، وتركتْ شئونَ الدنيا والناس، وانقطعت للعبادة وذكر الله، والتدبر فى أمر الكون -رغم صغر سنها وحداثة تجربتها،

---

(١) عباس العقاد: عبقرية المسيح، ص ٣٤، ٣٥.

(٢) المحراب: مكان العبادة - أنى لك هذا: من أين لك هذا الخير الوفير.

لأنها حملت فى عيسى وهى دون الخامسة عشرة. ومعنى هذا أن أم المسيح كانت فتاةً صالحة تقية نقية.. لم تعمل ولم تفكر فى أى شىء فى الحياة سوى العبادة والذكر. وقد شهد لها رب العزة سبحانه بالعفة والطهارة حين قال وقوله الحق: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣][(١)].

إن مريم خيرُ نساء العالمين، لأنها طرازٌ وحدها بين كل النساء، فقد امتُحنتْ بما لم تمتحن به أنثى. وهذه (أول امرأة) فى تاريخ الأديان تقوم بما لا يقدر عليه سوى أولى الفضل من الرجال.. وهذا توجيه من رب العزة سبحانه، حتى تكون أمًا لرسولٍ كريم من أولى العزم، تحمل الكثيرَ منذ ساعة مولده من بنى إسرائيل إلى أن ترك دنيا الناس، ورفعه الله إليه مكانًا عليا.

* * *

يكلم الناس فى المهد

لزمتْ مريم المحرابَ عابدةً ذاكرةً – رغم أنها كانت صبية صغيرة –دون الخامسة عشرة.. والله تعالى أعلم بعدد السنين والحساب. فى تلك الفترة بشرتها الملائكة أن الله سيهبها طفلا مباركا صالحا، يكون رسولا إلى بنى إسرائيل، ويُعْطَى معجزاتٍ كثيرة منذ طفولته، حتى يبرىء أمه الطاهرة من أية مظنة، ويثبت لبنى إسرائيل أنه نبىٌّ مرسل مثل موسى، لذلك ينبغى عليهم أن يؤمنوا بما جاءهم به من البينات.

لكن الفتاة الصغيرة الطاهرة –فى بداية الأمر– استنكرتْ وتعجبتْ، إذ كيف يكون لها ولدٌ، ولم يمسسها بشرٌ. فأخبرتها الملائكة أن هذا أمر الله، وأنه سبحانه إذا أراد شيئا، فإنما يقول له: كنْ، فيكون –لاراد لمشيئته ولا معقب لحكمه. وهذا ما تصوره الآيات الكريمة:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

(١) اصطفاك: اختارك واختصك بفضلٍ منه – اقنتى: أطيعى الله فى خشوع.

لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٩](١).

تمت إرادةُ الله وحملتْ مريم.. وحين قرُبَ وقتُ المخاض والميلاد اعتزلت الناس، وذهبتْ وحدها إلى مكان قصيٍّ حتى لا يراها أحدٌ. وآوتْ إلى جذع نخلة فى مكان قفرٍ - لا طعام فيه ولا ماء. لكن الله سبحانه لا يتخلى عن عباده المكرمين، فجاءها النداء من قبل الخالق القدير أنْ هُزِّى جذعَ النخلة وأنت فى مكانك، وسوف تتساقط عليك رطبًا (بلحا) جنيًّا حلوا. كما أجرى الله نبع ماءٍ يسرى بجوارها، حتى تأكل وتشرب وتطمئن نفسها. كما طلب منها ألا تكلم أحداً، وتقول لمن يحاول أن يكلمها، أنها نذرتْ للرحمن صوما وامتناعا عن الكلام، إذ أن بعض الصوم يتمثَّلُ فى السكوت عن محادثة البشر، وذكر الله وتدبر آيات قدرته.

* * *

بعد أن تم الميلاد المعجز، حملت المولود وعادتْ إلى قريتها. فتعجب الناسُ من أمرها.. وقالوا لها لقد جئت أمرًا فريًّا أىْ عجيبا، إذ كيف تلد دونَ زوج، وكان أبواها صالحين، وهى أخت هارون.. **وهذا أسلوب مجازى**، أى أنها أخته - (أوْ من ذريته) - فى التقوى والعبادة. ولكن هل هارون هذا هو أخو موسى عليهما السلام على أساس أنها من نسله وذريته أم أن هارون هذا - كما ذكر ابن كثير نقلاً عن السهيلى: «رجل من عباد بنى إسرائيل المجتهدين (فى العبادة) كانت مريم تشبهه فى اجتهادها»(٢)..؟!

الله أعلم بالمقصود.. لكن الرأى الأول هو الذى نطمئن إليه، إذ من المعروف أن كل أنبياء بنى إسرائيل من سلالة هارون أخى موسى عليهما السلام، فيكون المعنى: «يا أخت هارون»، أى يا شبيهته فى العبادة والتسمية، لأن والد كلٍ منهما يسمى عمران.

لم ترد مريمُ على المتعجِّبين منْ أمرها بعد الولادة، لكنها أشارت إلى الوليد الذى لم تمضِ على مولده لحظاتٌ معدودات. وأنطقه الله الخالقُ البارىء القادر الحكيم فقال: إنى عبدٌ من عباد الله، ونبىٌّ صاحبُ كتاب، وإن الله أوصانى بعبادته وأن أُحسنَ إلى أمى، ولست ظالما مستكبرا عن طاعة الله وعبادته. وإننى مثل كل البشر: أولد وأموت وأُبعث يوم القيامة.

لكن فتنة بعض الناس فى مولد عيسى المعجز، لم تزلْ قائمةً منذُ ولد إلى اليوم.

---

(١) كلمة منه: أمر - وجيها: له وجاهة وشرف.. ومن المقرَّبين إلى الله سبحانه.

(٢) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ٤٥٠ - يراجع إنجيل لوقا - إصحاح ٥.

والمسيحيون أنفسهم الذين يرون أنهم أتباعه وحملة رسالته، يرون أنه «ابن الله». كبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم. فالله الذى خلقَ السموات والأرضين والملائكة والجن والإنس وغيرها، كيف لا يكون قادراً على خلق عيسى كما خلق آدم من قبل؟! سبحانه إذا أراد شيئا، فإنه يقول له كن فيكون ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٧].

* * *

الرحلة إلى مصر

هل اقتنعت الطوائفُ اليهودية بمعجزة مولد المسيح.. أم أنهم ظلوا بين مصدق ومكذب؟! يبدو أنهم - كعادتهم - لم يكونوا على حالة واحدة، بل إن بعض الذين صدقوا معجزةَ مولده، ساورهم الشك فى أنه إنما جاء ليمحوا شريعةَ موسى، لذلك فإن بعضهم - إن لم يكن أكثرهم - ظلوا يُضمرون له العداء، ويرغبون فى إيذائه وعدم الإيمان برسالته، وبقوا على ذلك حتى رفعه الله إليه، وحماهُ من أحقادهم وشرورهم.

لم يكن اليهود وحدَهم مصدرَ الخطر والخوف على السيد المسيح وأمه عليهما السلام، وإنما كان حكام الرومان أيضا يضطهدون كل أبناء المستعمرات ومنها فلسطين، ولا يستطيع أحدٌ أن يعصى لهم أمرا.

من الثابت تاريخيا - وإن لم يرد لذلك ذكرٌ صريح فى القرآن الكريم - أن السيدة العذراء، قد جاءت إلى مصر وابنها طفلٌ صغير، ومعهما رجلٌ صالح يدعى يوسف النجار. فهل فرت خوفًا من اليهود أم من الرومان.. أم من كليهما معًا على وليدها؟!

الله أعلم.. لكن المعروف تاريخيا -أيضا- أن اليهود، هم الذين حرَّضوا الرومان على إيذاء السيد المسيح. لعل ذلك يؤكد مخاوفَ الأم على وحيدها، ويكون هو الذى حدا بها، لكى تفر به بعيدا، حتى يكبر فى مكان آمنٍ، ويصبح قادراً على حماية نفسه وتدبير شئونه وتحقيق أمر ربه.

ولا نعرف بالضبط الطريق الذى سلكته السيدة العذراء من فلسطين إلى مصر.

لكن.. يبدو أنها مرت بمدينة «عين شمس»، ففى «حى المطرية» بالقاهرة يوجد

شارعٌ اسمه « شجرة مريم ». وقد استقرتْ معظم الفترة - التى قضتْها فى مصر - فى بعض قرى مركز « إهناسيا » التابعة لمحافظة بنى سويف. وهى تقع غربى النيل.. وبعيدة نسبيا عن مجراه، وبالتالى بعيدة عن مركز المواصلات الوحيد - آنذاك - الذى يوصل إلى هذا المكان المنعزل البعيد عن العمران فى الشمال (عين شمس والإسكندرية)، وفى الجنوب طيبة (الأقصر) وأسوان. كذلك يوجد فى محافظة أسيوط دير يسمى « الدير المحرق »، يقال إن المسيح وأمه أقاما فيه مدةً من الزمان.

وبعض كتب « قصص الأنبياء » تشير إلى رحلة المسيح لمصر بأقوال مختلفة، وإن كانت لا تتعدى ما ذكرناه آنفًا. فابن كثير يذكر فى هذا الصدد:

« وكان عيسى يُرِى من العجائب فى صباه إلهامًا من الله، ففشا ذلك فى اليهود، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه، فأوحى الله أن تنطلق به إلى أرض مصر، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال إسحق بن بشر: قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال: إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا.... »[١].

أما عبد الوهاب النجار فيذكر « أن هيرودس (الحاكم الرومانى على فلسطين حينذاك) لما أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم.. أُمرَ يوسف النجار فى منامه بأن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر، لأن الملك أمر بقتل كل طفلٍ ولد فى بيت لحم. فقام من فوره، وأخذ الطفل وأمه وذهب بهما إلى مصر إلى أن هلك هيرودس. ولما هلك، أُمر يوسف فى نومه بأن يأخذ الطفل وأمه إلى بلادهما، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع.. وبعض مفسرى القرآن الكريم يذكرون أن مصر هى المعنية فى القرآن الكريم بقوله تعالى فى عيسى وأمه ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾. ويزعم المسيحيون أنهما استقرا ببلدة عين شمس، ويقولون إنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى أصلها محتفظًا به إلى أمدٍ غير بعيد منا، وكانوا يسمونها « شجرة العذراء »، ويعنى الناس بالذهاب إلى زيارتها فى ضاحية المطرية »[٢].

ونحن نميل إلى أن الآية الكريمة من سورة « المؤمنون » تشير إلى ذهاب المسيح وأمه إلى مصر، لأن الربوة المذكورة غير المكان الذى ولدت فيه السيدة مريم ابنها.. كما أن الآية

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥٨٨.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٥١٩.

تشير صراحةً إلى عيسى وأمه عليهما السلام في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾، أي أن الله جعل عيسى وأمه حجةً قاطعة على قدرته على أن يخلق ما يشاء. كما أن بقية الآية يأتي الفعل فيها مسندا إلى ضمير المثنى: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

أي أن الله أسكنهما عند ربوة.. والربوة هي المكان المرتفع قليلا، وهو أحسن ما يكون فيه النبات. «ذات قرار»، أي أنها مكان للاستقرار والأمان.. «ومعين» المعين مكان يجري فيه الماء بصفة مستمرة. وهذه أوصاف تنطبق على مصر- بأكثرها مما تنطبق على غيرها.. والله أعلم.

* * *

الذي لا ريب فيه هو أن المسيح قد وفد إلى مصر هو وأمه ويوسف النجار، وأنهم عاشوا فيها فترة من الزمان.. **هنا نصل إلى (دلالة) هامة وعامة، ذلك أن عيسى يعد ثالث الرسل أولي العزم، الذين عاشوا في مصر فترةً من الزمان. فقد وفد إبراهيم الخليل إلى مصر وأقام بها.. وتزوج منها (السيدة هاجر)، كما أن موسى ولد بمصر ونشأ وترعرع، وتعلم فيها كثيرا من أمور الحياة. وهذا هو المسيح عليه السلام يفد إلى مصر فراراً من بطش اليهود والرومان، فتفتح له مصر -بفضل الله وتوفيقه- أبوابها وقلوب من يلقاه، فيعيش فيها آمنًا مطمئنًا**. ولعل هذه المرحلة تمثل فترة الإعداد والتكوين والتفكير والتدبير، حتى يعود بعد أن كبر واشتد ساعده، لكي يدعو إلى عبادة الله، ويتلقى رسالة الإنجيل، ويظهر المعجزات التي خصه اللطيف الخبير بها.

إن مصر بلدةٌ طيبة، شرفها الله سبحانه وتعالى بأن تكون «أم الدنيا»، وصاحبة أقدم حضارة، ومن علامات تشريف المولى عز وجل أنه أورد ذكرها في القرآن الكريم (خمس) مرات -في سور البقرة ويونس ويوسف والزخرف. وتلك ميزة لم يمنحها الخالق العظيم، لبلدةٍ أخرى في الذكر الحكيم.

كان من فضل الله على مصر أيضا أن يعيشَ على أرضها الطيبة (ثلاثة) من الرسل أولي العزم، حيث عاشوا في بلاد العمران، وسكنوا في ديار الأمن والأمان، وعرفوا بعض قواعد الحكمة والعرفان، وأصبحوا قادرين على مواصلة الدعوة إلى الإيمان، وتبليغ ما كلفهم به الواحد الديان.. كما أشارت بعض آيات القرآن ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ ﴾ [المائدة: ٥٤][١].

---

(١) فضل: إحسان وعطاء - واسع عليم: واسع الفضل:.. عليم بمن يستحقه من عباده.

يبدو – والله أعلم – أن معجزات عيسى أخذتْ تترى وتتوالى منذ مولده.. وفى مرحلة طفولته الباكرة فى فلسطين.. وفى مرحلة صباه وهو فى مصر.. وبعد عودته إلى فلسطين شابًا ورجلاً. وربما كان توالى المعجزات قبل البعثة والأمر بأداء رسالة سماوية (ميزةٌ)، لم يُخصَّ بها أحد من أولى العزم من الرسل –كما خص بها عيسى ابن مريم عليهما السلام.

ولعل السر فى هذا التأييد المستمر من الله سبحانه بالمعجزات والآيات البينات أن حياته لم تطل على الأرض، فقد رفعه الله سبحانه إليه، وهو دون الخامسة والثلاثين.. وقيل إن ذلك كان وعمره ثلاث وثلاثون سنة. ونحن نميل إلى الرأى الأول.

وربما كان هناك سبب آخر.. وهو أنه أرسل إلى بنى إسرائيل، وهم – كعادتهم – قساة القلوب مغلقو الأفئدة.. عندهم قدرةٌ عجيبة على الجدل والحوار، ويصعب – إن لم يستحل – أن تحولهم عن رأىٍ أو تثنيهم عن خصومة، إذ يتوهمون أنهم «شعب الله المختار»، لذلك يظنون أنهم يجب أن يُتَّبَعُوا – لا أن يَتَّبِعُوا هم غيرهم فى أى شأنٍ من شئون الحياة. وربما كان هذا سببًا فى مخالفتهم المسيحَ وعصيانه، وإنزال أشد العذاب به وبمن آمن معه. كما كان هذا أيضا سبب كفرهم بمحمد – ﷺ – ورسالته. والحقيقة أن بنى إسرائيل لم يفتروا على الأنبياء والرسل فحسب، بل لقد افتروا على الله سبحانه، وإلى هذا تشير كثير من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)**﴾(١) [المائدة: ٦٤].

فاليهود – عليهم لعنةُ الله – وصفوا المولى سبحانه فى هذه الآية بأن يديه ممسكتان، كنايةً عن البخل. وفى آية أخرى قالوا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ (١٨١)** ﴾ [آل عمران: ١٨١].. من أجل ذلك غضبَ الله عليهم، ولعنهم، وكتب عليهم الذلة والمسكنة والتشريد فى الأرض، حتى يذوقوا وبالَ كفرهم بالله وعصيانهم لرسله، حتى من أرسلوا إليهم من بنى إسرائيل أنفسهم. وإلى هذا يشير ربُّ العزة سبحانه .. ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ**

---

(١) مغلولة: مقيدة – مبسوطتان: مفتوحتان بالعطايا والنعم التى لاحصر لها.

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة : ٧٠] .

رسول كريمٌ أرسل إلى شعبٍ عنيد خصيم، يتجرأ على عصيان الله وقتل أنبيائه، كان فى حاجةٍ مطردةٍ ودائمة إلى معجزات، حتى يؤمن بالنبى المرسل. من أجل ذلك كله كانتْ معجزاتُ عيسى كثيرةً ومتواصلة طوال فترات حياته القصيرة. لكن ذلك لم يزد معظم اليهود إلا عناداً وكفرا وتعذيبا لأتباع المسيح، ومكراً بهم ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾** ﴾ [**آل عمران** : ٥٤]. والمكر صفةٌ لم ينسبها المولى سبحانه وتعالى لنفسه إلا فى معرض الحديث عن اليهود - عليهم لعائنُ الله..!!

* * *

المعجزة (الأولى) لعيسى أنه كلم الناس وهو طفلٌ رضيع بعد لحظات معدوداتٍ من مولده، فقد أنطقه الخالق العظيم، حتى يبرىء أمه من أية مظنةٍ، ويدلهم على أنه سيكون نبيا مُرسلا إلى بنى إسرائيل بعد أن يعلمه الله الحكمةَ، ويوحى إليه بالإنجيل - وهو الكتاب المقدس الذى جاء به.

المعجزة الأخرى هى أنه كان يخلق لهم من الطين على هيئة الطير، ثم ينفخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله. وربما كانتْ هذه المعجزة ذاتَ علاقة بالسحر، الذى له علاقةٌ بموسى عليه السلام وبعض قومه.

ومن معجزاته - أيضا - أنه كان يشفى الأكمه .. وهو الذى وُلد أعمى، ويستحيل علاجه، لأن الأعمى قد يكون ممكنًا شفاؤه - إذا كان العمى بعد الولادة نتيجة مرض أو رمدٍ. أما من وُلد أعمى، فلا يشفى إلا بإرادة الله وقدرته.

ومن معجزاته الطبية أيضا أنه كان يشفى الأبرصُ، والبرص مرضٌ جلدى، يجعل لون الجلد مختلطا بين البياض الناصع والصفرة القمحية. ثم تلى ذلك معجزةٌ طبية أخرى كان عيسى قادراً عليها - بإذن الله - وهى أن يُعيدَ الحياة إلى الموتى.

ومن معجزاته أيضا التى ذُكرتْ فى القرآن الكريم، أنه كان مكشوفًا عنه حجاب الرؤية، وقادراً على أن يُخبر الناس بما يأكلون.. ويخزنون فى بيوتهم من المال والمتاع.

تلك المعجزات التى تجمع بين السحر والطب كانتْ مقصودةً من قبل الله.. فقد «كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته بما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرةً أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار، وخضعتْ لها الرقاب....

وهكذا عيسى بُعث فى زمن الطبائعية والحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنىَّ لحكيم [طبيب] إبراءُ الأكمه الذى هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص، والمجذوم، ومن به مرضٌ مُزمن. وكيف يتوصل أحدٌ من الخلق إلى أن يقيم الميتَ من قبره؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزةٌ دالة على صدقِ من قامت به وعلى قدرة من أرسله»[1].

* * *

من معجزاته أيضا نزولُ «الإنجيل» عليه باعتباره «الكتاب المقدس» الذى جاء به. ومعنى كلمة الإنجيل «البشارة» أو الإخبار بالخير[2].. أى أنه كتابٌ يدعو إلى الهدى والنور مثل «التوراة» من قبل والقرآن من بعد، لذلك كانت من معجزات المسيح فى الإنجيل أنه بشَّر ببعثة محمد - ﷺ - هذا ما تؤكده الآية الكريمة. ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ...(٦) ﴾ [الصف: ٦][3].

ثمة آيةٌ أخرى تؤكد (التبشير بمحمد) ورسالته من خلال ما هو مكتوب ومسجل فى التوراة والإنجيل.. وهى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ** ... (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

عَجبٌ عجابٌ أن يدعى بعضُ البشر أن الله يرسل رسولاً، ثم لا يواصل رسالاته ورسله، لأنه سبحانه يجدد الرسل والرسالات بعد أن يزيغ أصحابُ رسالة من الرسالات، فيبعث المولى رسولاً آخر، يجدد للناس آيات الله، ويكرر الدعوة بما جاء به الذين قبله من الرسل. معنى هذا أن الرسالات السماوية ذاتُ وظائفَ موحدة وتشريعات متقاربة،

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥٩٩.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٥٢٣. وهذه التسمية (البشارة) اجتهاد من الشيخ عبد الوهاب النجار.

(٣) وفى هذا يقول الرسول ﷺ.. «أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى....».

لذلك ينبغى ألا نفرق بين أحد من رسله. وصدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ.... (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* * *

المائدة.. والحواريون

الآياتُ الكريمة التى تجمل معظم معجزات عيسى -عليه السلام- وردت فى سور «آل عمران والمائدة ومريم».. وقد ذكرناها من قبل، وأشرنا إلى أهم ما ورد فيها أثناء الشرح والتفسير.

آخرُ المعجزات التى أيد الله بها رسوله المسيح، هى أنه أنزل على أتباعه (مائدةً) من السماء. وقد ورد ذكرها فى سورة تحمل اسمها، هى سورة «المائدة»، وهى سورة «مدنية»، وترتيبها الخامسة. والآيات التى تشير إليها هى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥].

إن الحواريين[١] - وهم تلاميذ المسيح عليه السلام- حين جاشت تلك الرغبة فى نفوسهم، «لم يكن ذلك منهم شكًا فى قدرة الله، أو طعنا فى نبوة عيسى، فحاشاهم أن يكونوا من الشاكين فى قدرة الله أو المرتابين فيها، بعد أن آمنوا بالله ورسوله. وقالوا لعيسى: آمنا واشهدْ بأنا مسلمون.... قومٌ هذا شأنهم لا يسلك الشكُ سبيلاً إلى نفوسهم.. قال لهم عيسى -وقد عجب من أمرهم وخاف عاقبة سؤالهم: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، واحذروا أن تقترحوا أمثال هذه المعجزات، لئلا تكون فتنةً لكم، وسببًا فى فساد أمركم.. هدَّءوا من رَوْعه، وقالوا: إن ما دفعنا إلى اختيار هذه المعجزة هو أننا

---

(١) الحواريون: مصطلح مستمد من القرآن الكريم، ومعناه الانصار.. وله تفسير آخر فى المسيحية.. وهم رسل عيسى وتلاميذه، الذين أرسلهم للتبشير بدعوته.

والكلمة أصلها حبشيٌّ، فكلمة (حوارى) بمعنى رسول. وقيل إنها أرامية الأصل من كلمة (حفار) ومعناها الصديق المخلص.

نريد أن نأكل منها بعد أن كنا صائمين، حتى نطمئن إلى أن الله قد قبل صيامنا.

أنزل الله عليهم مائدةً من السماء، فاضتْ بالرزق السابغ والخير الوافر إنجازًا لوعده وتأييدًا لنبيه واستجابة لدعوته، وخشى عيسى الفتنةَ إذ رآها، فدعا الله أن يجعلها رحمةً لهم، ونعمة عليهم، وسأل ربه أن يهديهم إلى الإيمان والطريق القويم... فطعموا منها ما شاءوا، وقرت بذلك أعينهم، وقوى إيمانهم، ثم تحدثَ الناسُ بتلك المعجزة الباهرة، فآمن خلق كثير، وازداد المؤمنون يقينا فى الإيمان وثباتا عليه»[1].. ولكن الكافرين -أيضا- ازدادوا كفرا وصَدًّا، وتكذيبا وبُعدا.

يلاحظ فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد أيد رسوله عيسى ابن مريم بكثيرٍ من (المعجزات) الدالة والآيات الواضحة، لكن ذلك كله لم يُحدث الأثر المرجوَّ فى بنى إسرائيل. وقد أدرك عيسى نفسه ذلك -كما تدل على هذا الآيات الكريمة التالية:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٤][2].

والحواريون -الذين ورد ذكرهم فى الآياتِ الكريمة «هم أصحاب عيسى وخاصته، الذين اختارهم ليكونوا تلاميذَه، وبادروا إلى الإيمان به، وتتلمذوا له، وتعلموا منه، وكانوا اثنيْ عشرَ رجلاً.. ويظهر أن لفظ «الأنصار» فى جانب (محمد) رسول الله.. بمنزلة «الحواريين» فى جانب عيسى...»[3].

هؤلاء الحواريون هم الذين نصروا المسيح، وتتلمذوا عليه، وحفظوا تعاليمه، وكانوا مقربين لديه. ويبدو أن عيسى -عليه السلام- كان فى جل تحركاته يتنقل مع هؤلاء الحواريين الاثنى عشر، حتى يتخفى فيهم، ولا يستطيع اليهودُ معرفته، لكى لا يغدروا به أو يعذبوه. والقرآن الكريم يشير إليهم فى سورة الصف.. **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ**

---

(١) محمد جاد المولى وآخرون: (قصص الأنبياء، ص ٥٧) بتصرف.

(٢) أنصارى: أعوانى على نشر الدين - الحواريون: لقب لأنصار عيسى.. بمعنى نصير أو ناصر - مسلمون: مخلصون فى الإيمان - بما أنزلت: الإنجيل - الرسول: عيسى - الشاهدين على صدق عيسى وغيره من الأنبياء.

(٣) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٥٤٤.

اللّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) ﴾ [الصف: ١٤].

* * *

البداية والنهاية

لم تذكر آياتُ القرآن الكريم -بشكل صريح- الميقاتَ الذى بُعث فيه عيسى ابن مريم - عليه السلام - بالرسالة إلى بنى إسرائيل، ولا متى بدأ يدعوهم إلى عبادة الواحد الديان، إذ إن معجزاته كانتْ تتوالى منذ مولده إلى أن رفعَه الله إليه. فكل معجزة من معجزاته كانت آيةً على أنه نبيٌّ مرسل، إذ إن كل ما كان يحدث له، فإنه - هو نفسه - كان ينسبُه إلى قدرة الله، ويعزوه إلى مشيئته.

بعض المفسرين وأصحاب قصص الأنبياء يذكرون أن بعثته حدثتْ وهو فى حوالى الثلاثين من عمره(١). ويبدو -والله أعلم- أنه حين بدأ يجهر بالدعوة - ويذكر لبنى إسرائيل أنه رسول كريم، جاء لكى يردهم إلى الصراط المستقيم، الذى زاغوا عنه بعد أن حرفوا كثيرا فى آيات التوراة وتعاليم موسى عليه السلام -كان قد تجاوز العشرين بقليل.

حين علمت طوائف كثيرة من بنى إسرائيل أن عيسى عليه السلام يريد أن يصرفهم عن ضلالهم، ويدعوهم إلى دين جديد. بل أكثر من هذا يبشرهم بنبىٍّ آخر، سوف يأتى من بعده - وهو محمد ﷺ - بدأوا يَشُون به إلى الحاكم الرومانى «بيلاطس». وقالوا إنهُ يحدث ثورةً بين الناس، ويشيع الفتنة فى البلاد أملاً فى أن يصبح حاكمًا. تلك خصلةٌ ذميمةٌ من خصال اليهود.. وهى النفاق والغدر. **هكذا لم يصبح للسيد المسيح عدوٌّ واحد، بل عدوان.. هما: زعماء اليهود.. وحُكام الرومان.**

حين أَحسَّ المسيحُ فى سنواته الأخيرة منهما (اليهود والرومان) نيةَ الغدر.. ورغبةَ الانتقام، بدأ الرسول الكريم يأخذ حذره، ولا يتنقل وحده، ولا يستقر فى مكان. وكان يصحبُ معه حوارييه، حتى لا ينفرد اليهود به، أو يصيبوه بأذىً.

فى ليلة من لياليه الأخيرة على الأرض تناول العشاء الأخير مع حوارييه.. وقدم لهم بعض وصاياه. فإذا بالباب يدق ويهجم عليهم الأعداء من اليهود وجُند الرومان بإرشاد تلميذٍ خائن للمسيح تسميه بعض الأناجيل باسم «يهوذا الأسخريوطى»(٢).

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٥٢٢.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٥٦٦.

ولكن الله – جلتْ حكمته – لا يتخلى عن رُسله المكرمين ولا عن عباده الصالحين، فشبه لهم من ظنوا أنه المسيح.. فأخذوه وصلبوه بدلاً منه. هكذا أنقذتْ عنايةُ الله نبى الله. وكما يذكر الشاعر:

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها — نـمْ فالمخاوفُ كُلُّهـن أمـانُ[1]

* * *

لقد كذَّب اليهودُ بالمسيح حيًا وكفروا بدعوته، وبعد أن رفعه الله إليه استمروا فى حالة الكذب والافتراء. وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)** ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

كيف شُبه لهم مثيل المسيح، ومن هو على صورته..؟ ثم كيف رفعه الله.. وهل كان ذلك الرفع بالجسد أم بالروح.. وكيف.. وكيف؟! كل هذه أسئلة لا ينبغى أن نتوقف عندها، ولا يجب أن نفكر فيها. كما لا يصح أن نذكر الحكايات والروايات المختلفة، التى ذكرها بعض أصحاب قصص الأنبياء، بل بعض المفسرين -أحيانا- نقلا عن بعض الإسرائيليات أو عن بعض الأناجيل. يكفى أن نذكر أن تلك إرادة الله.. وأنه سبحانه وتعالى قادرٌ على كل شىء. أليس الذى خلق الكون ونظمه بقادر على أن ينجى واحداً من خلقه؟! إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون..!!

* * *

تعقيب

توفيت السيدة مريم – عليها السلام – بعد أن رفعَ الله رسوله عيسى إليه، وطهَّره من رجْس الكافرين ودَنس الضالين المضللين. ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)** ﴾ [آل عمران: ٥٥][2].

هكذا تمتْ كلمةُ ربك.. وانتهت قصة ذلك الرسول الكريم، الذى اختلف فى أمره كثير من الناس، حتى أولئك الذين اتبعوه من المسيحيين، وادعوا أنه «ابن الله»، وأنه ثالث

(١) العناية: رعاية الله.

(٢) إلىّ مرجعكم: مرجعكم إلىّ يوم القيامة.

ثلاثة: الأب والابن والروح القدس. كبرت كلمةٌ تخرجُ من أفواههم. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه، لأنه واحد أحد. لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وسوف يتبرأ المسيح منهم يوم القيامة كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١٢٠](١).

* * *

تلك هي حقيقة الصورة الصادقة لذلك الرسول الكريم عيسى ابن مريم -عليهما السلام- الطاهرين المطهرين . فقد روى عن رسولنا محمد ﷺ أنه قال ما معناه: «كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم ابنة عمران وابنها عيسى»(٢).

إن مريم العذراء البتول قد شهد لها بالفضل والطهر رب العزة سبحانه، كما شهد لها بهذا أيضا رسول الله - ﷺ - حين قال فى حديث ما معناه: «حسبك من نساء العالمين أربعٌ: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»(٣).

إلى هنا تنتهى قصة عيسى ابن مريم. فسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا ﴿ **ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)** ﴾(٤) [مريم: ٣٤ - ٣٦].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الشهيد: الشاهد على ما يفعلون.
(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥٥٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٥٥٨.
(٤) يمترون: يشكون - سبحانه: تنزيهاً له عن كذب النصارى وافترائهم عليه بان عيسى ابن الله.

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذى هدانا إلى شرح هذه القصص الغراء، لأولى العزم من الرسل والأنبياء، مصابيح الرسالات السماوية، وهداة البشرية، إلى عبادة رب البرية.

إن قصص أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام - وهم: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى.. ومحمد (موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب - بإذن الله) - تعد أنصع صفحة فى تاريخ البشرية، بل فى وجود البشرية أصلاً، لأن نوحًا هو الأب الثانى للبشر بعد آدم. أما إبراهيم الخليل فهو أبو الأنبياء جميعًا من بنى إسرئيل ومن العرب أيضًا. وموسى صاحبُ أول رسالة سماوية كبيرة، وأهم أنبياء بنى إسرائيل. أما المسيح عيسى ابن مريم، فهو صاحبُ الرسالة التالية لرسالة موسى فى الأهمية والتأثير فى الفكر البشرى قديمًا وحديثا.. ثم ختم الله - سبحانه وتعالى - السلسلة النورانية من أولى العزم بخاتم الأنبياء وأفضل المرسلين، محمد بن عبدالله - ﷺ.

على هذا فإن الحديث عن هولاء الرسل العظام، والهداة الكرام، هو - فى حقيقة الأمر - حديث عن المصطفين الأخيار، الذين شرف الله البشريةَ بهم، فكانوا قناديل السماء إلى الأرض، إنهم الهداة المهديون.. الذين اصطفاهم ربُّ العزة، لكى يبلغوا رسالاته، ويعرفوا الخلق أجمعين حدود هذا الوجود، ويهدوهم إلى حقيقة الإله المعبود. لقد كان الله سرا مكنونًا، وكنزًا مصونًا.. فاختار هؤلاء الرسل - وغيرهم من الأنبياء - حتى يهدوا الناس إلى عبادة رب الناس بإرادة المولى وتوفيقه، لأن الله وحده هو الهادى، الذى يهدى من يشاء إلى ما يشاء.

* * *

ليس ثمة طريقٌ أقرب إلى الهداية من معرفة أحسن القصص.. قصص الرسل والأنبياء، التى تقدم للبشرية جمعاء، إطار العبادة والدعاء، وسبيل الخير والضياء، حتى يصل الناس إلى كلمة سواء، حين يؤمنون بخالق الأرض والسماء، ويقولون مخلصين: ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [**آل عمران: ٥٣**].

إنها لوظيفة سامية نبيلة لقصص الأنبياء، وهى معرفة الحق وكشف الحقيقة، لينجو من ينجو،أو يهلك من يهلك . . عن بينة واضحة وآية ناصعة . وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة : ﴿ **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)** ﴾ [طه : ٩٩، ١٠٠](١) .

وأملاً فى أن يتضح الهدفُ النبيل من قصص أولى العزم، حاولنا – جاهدين – أن ننقيّ الصورة، ونُجلى العبرة، من خلال آيات الذكر الحكيم، الواردة فى القرآن الكريم . .

﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)** ﴾ [الأنعام : ١١٤، ١١٥](٢) .

على هذا فقد كان دأبنا طوال الشرح والتفسير أن نظل عاكفين فى إطار آيات القرآن الكريم . . كما يتضح من الجدول التالى :

إحصاء بالآيات الخاصة بالرسل

مسلسل	الرسول	عدد الآيات		المجموع
		مكية	مدنية	
١	نوح	١٢٢	٠٧	١٢٩
٢	إبراهيم	١٦٠	٤٠	٢٠٠
٣	موسى	٤١٣	٤٩	٤٦٢
٤	عيسى	٣٣	٥٤	٨٧

وقد ذكرنا – فى أثناء الحديث عن كل واحد من هؤلاء الرسل الكرام . . عليهم السلام – ما هدانا رب العزة سبحانه وتعالى إلى معرفته، وبيان الدلالات الخاصة به .

---

(١) ذكر: القرآن – لدنا: عندنا – وزر: ذنب .

(٢) الخطاب موجه من الرسول (ﷺ) – الكتاب: القرآن – مفصلا: مبينا بيانا كاملاً – الذين آتيناهم الكتاب: اليهود والنصارى – الممترين: الشاكين – كلمة ربّك: وتقرأ كلمات ربك أيضاً: القرآن .

أدعو الله – مخلصًا له الدين – أن يكونَ هذا الكتاب رسالةَ هُدى وحب إلى البشرية جمعاء، حتى يتفاهموا .. ويعلمواحدود ما أنزل الله. وإذا كنا جميعًا نطمح إلى أن نعرف نور الحقيقة، ونحسن أداء الفريضة، فما أحوجنا إلى التسامح والمحبة، والتآخى والمودة.

إن العداوة والبغضاء قد اشتعلتْ لهيبًا فى قلوب الكثيرين، لأننا اختلفنا فى حقيقة (الله)، الذى يدعو إلى التوحيد والرحمة والمحبة. فيأيها الناس.. اتقوا الله الذى أنتم فيه مختلفون، واعلموا أن الله توابٌ رحيم. إنما البشر جميعًا إخوة: إلههم واحد.. أبوهم واحد.. مصيرُهم واحد.. فلم لا نفيئ إلى أمر الله – عسى ربنا أن يعطينا خير الدنيا، ويمنحنا حُسْنَ ثواب الآخرة؟!

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾ [الحجرات: ١٣].

وبعد.. فإنى آمل أن تصل إلى الناس كافةً رسالةُ النور والمحبة، التى اقتبستُها من نفحات القرآن الكريم، وإشراقات الذكرالحكيم. وأدعو الله سبحانه أن يقرب بين خلقه فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن يهدى الجميعَ إلى طريق الحق والخير والعدل. إن الله بعباده رؤوف رحيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، ومن اهتدى بهديهم من البشر أجمعين.. **﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) ﴾** [**يوسف**: ١٠١].

الدقى

١٥ من شعبان ١٤١٦هـ

٦ يناير ١٩٩٦ م

المستعين بالله أبو محمد

د. طـه عمـران وادى

الفهرس

الفصل الثالث

مُوسى .. كليم الله

الفصل الرابع

عيسى .. كلمة الله

* * *